جامعة ابن خلدون – تيارت

University Ibn Khaldoun of Tiaret

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

Faculty of Humanities and Social Sciences

قسم علم النفس والفلسفة والأورطفونيا

Department of Psychology، Philosophy، and Speech Therapy

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثاني ل.م.د

تخصص فلسفة عربية وإسلامية الموسومة ب

# التصوف في كتابات أعلام الزوايا في الجزائر

# أبو الحسن الشاذلي أنموذجا

إعداد الطالبة:

- جودي زينب

إشراف الدكتور:

حفصة الطاهر

لجنةالمناقشة

| الأستاذ (ة) | الرتبة | الصفة |
|---|---|---|
| راتية حاج | أستاذ مساعد أ | رئيسا |
| طاهر حفصة | أستاذ محاضر أ | مشرفا مقررا |
| بن سليمان عمر | أستاذ محاضر أ | مناقشا |

الموسم الجامعي١٤٤٤/١٤٤٥هجري الموافق ل: ٢٠٢٢/٢٠٢٣م

# شكر و تقدير

فال الله تعالى :" ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه" لقمان ١٢
و قال رسوله الكريم صلى الله علية و سلم :" من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل"

هذه الدراسة التي أريد ان تنال رضاكم.

ثم أتوجه بجزيل الشكر و عظيم إلّامتنان إلى كل من : الدكتور طاهر حفصة مشرفا و مقررا و الدكتور راتية الحاج و أستاذي رئيسا و الدكتور عمر بن سليمان مناقشا.

و لا ننسى بالذّكر الدكتورة بلخير خديجة خير ما صادفت طوال مسيرتي الجامعية

أيضا الأخت الكريمة فاطمة.

و أعز أصدقائي القريب منهم والبعيد.

فالحمد لله الذي وفقني و أوصلني بفضله إلى يومي هذا.

دفعة ٢٠٢٢_٢٠٢٣

إهداء

ما أجمل أن يجود المرء بأغلى ما لديه وإلّاجمل ان يهدي الغالي للأغلى.

هذي هي ثمرة جهدي اجنيها اليوم هي هدية أهديها ل:

والديا الكريمين

أمي قدوتي

أبي مصدر شجاعتي

أسئل الله أن يشفيهما عاجلا غير آجل ويطيل أعمارهما

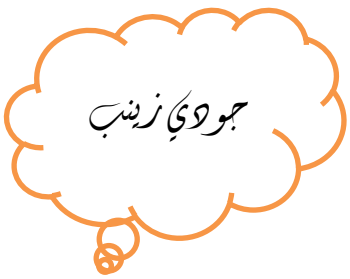

# مقدمة

مقدمة:

لطالما ازدهرت الحياة الدينية والثقافية في مختلف ربوع وأقطار العالم الإسلامي خاصة في بلاد المغرب إذ كثرت فيها الفرق والمذاهب الدينية،التي مثلها التصوف الذي عبر بشكل واضح عن ا لحركة الدينية التي جاءت بعد الفتوحات حيث نشأت هذه ا لحركة كردة فعل مضاد لانغماس بعض الناس في الترف وضروب الملاذ، فكان أساسها إخضاع النفس لأنواع الرياضات الروحية غايتها الوصول إلى المعرفة الحقة والمطلقة، معرفة الله بالكشف والمشاهدة، وهكذا تطورت ا لحركة الصوفية بظهور الفرق والطرق الصوفية المختلفة والمتعددة وبرز الكثير من رجالها كأئمة كبار للزوايا وأعلاما لهذه ا لحركة الزهدية من أمثال هؤلاء نذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي الذي كان من المشايخة الكبار في قضية التصوف وكان له تأثيرا كبيرا على عقلية مجتمعات المغرب الع ربي عامة والجزائر خاصة حيث تعتبر الجزائر من المراكز المهمة للتصوف على الخصوص في مرحلة الاستعمار التي وقف فيها شيوخ الطرق الصوفية وقفة صارمة أمام المستعمر فقد حاربوه بالحفاظ على مبادئ الإسلام، وحماية عروبة الوطن من نظام الفرنسة الذي نادت به القوى المستعمرة،كما أنها اتسمت بالمرونة في مبادئها وتعاليمها حتر يتسنى لها التلاؤم مع أفكار الناس في كل مكان وزمان واستقطابهم كأتباع لها أيضا تميزت بجمعها بين علمي الظاهر والباطن هاته الصفات مكنتها من الموازنة بين الحياة المادية والحياة الروحية.

وها نحن الآن بصدد دراسة نموذجا من النماذج الكثيرة للتصوف التي احتلت مكانة كبيرة في المجتمع الجزائري ألا وهو أبو الحسن الشاذلي ومدرسته الشاذلية التي احتوت أغلب مناحي الحياة في الوطن وساهمت في تثبيت الدّين الإسلامي وتقوية الشخصية العربية أمام التدخلات الخارجية من خلال التربية والتعليم وغيرها من مشاريع الإصلاح التي قامت بها أنذاك، ومن أجل احتواء جميع عناصر هذه الدراسة رتبنا بحثنا على ثلاثة فصول إحتوى كل فصل على ثلاثة مباحث، فالفصل الأول كان فصلا تمهيديا بالموضوع بينما في الفصل الثاني والثالث قد حصرنا موضوعنا بالشيخ الشاذلي الذي كان له تأثيرا وبصمة واضحة المعالم في التاريخ وما زال مذهبه إلى يومنا هذا في الجانب الدّيني، وعليه سنتناول بحثنا تحت هذه الإشكالية:

كيف تجسد التصوف في فكر الشاذلي عامة وفي الجزائر خاصة،وإلى أي مدى أثر على المجتمع الجزائري؟ وللوصول إلى نتيجة هذه الدراسة إنطلاقا من الإشكالية العامة السابقة مررنا ببعض الإشكاليات الفرعية والتي تمثلت فيما يلي:

١- ما مفهوم التصوف في مختلف الأديان غيرالإسلام ؟

٢- ما هي طبيعة التصوف الشاذلي وبماذا يتميز ؟

٣- كيف انتقلت الشاذلية من المغرب إلى الجزائر وكيف احتضن المجتمع الجزائري الطريقة؟ ومجمل الإعتراض الذي لاقته هذه الطريقة ؟

ومحاولة حل هذه الإشكالية اعتمدت عدة مناهج في دراستي هاته كالمنهج التحليلي الذي ساعدني في تحليل وتبسيط المفاهيم والأفكار وإزالة الغموض عنها،أيضا المنهج التاريخي كوسيلة لتحديد الإطار الزماني وتسلسل القضايا التي تطرقت إليها بالإضافة إلى المنهج الوصفي الذي غالبا ما يكون حاضرا في الدراسات النظرية،والمنهج النقدي نوعا ما في الفصل الأخير عند تطرقنا إلى الانتقادات التي واجهت الصوفية الشاذلية.

وبطبيعة الحال قد اخترت موضوع بحثي هذا لأسباب من بينها ميولي للمذهب الصوفي، ورغبتي في اتخاذه كمنهج في حياتي اليومية، بالإضافة إلى الشيء الذي لفتني وهو تهرب الكثير من الناس من مختلف الأعمار من هذا الموضوع الذي جعله لا يحوي الكثير من الدراسات خاصة فيما يخص المدرسة الشاذلية.ومن بين المصادر المهمة التي استخدمتها في هذا البحث نذكر كتاب درة الأسرار وتحفة الأبرار للابن الصباغ المدعو الحميري ،،كتاب رسالة الأمين في الوصول لرب العالمين لأبو الحسن الشاذلي،بالإضافة غلى كتاب الطريقة الشاذلية عرض ونقد للمؤلف ناصر خالد العتيبي الذي يعتبر من أغنى المراجع حول الطريقة الشاذلية،أيضا قمت بالإطلاع على بعض الأعمال السابقة في هذا الموضوع التي من بينها:

١- مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط بعنوان الحضور الصوفي المغربي في مصر خلال القرنين السادس والثامن إلهجريين الموافقين ل الثاني عشر والرابع عشر ميلادي 'المدرسة الشاذلية نموذجا'من إعداد كل من عبد الملك هاني،وبن خليفة عيسى بجامعة حمه لخضر،الوادي،٢٠١٩.

٢- مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة العامة بعنوان التصوف الإشراقي عند شهاب الدين السهروردي من إعداد الطالبة رحمون بسمة بجامعة محمد خيضر،بسكرة،٢٠٢٠.

ومن أجل الإلمام بمحتو ى الموضوع اتّبعت خطة بحث متمثلة في مقدمة حاولت من خلالها وصف الظروف الدينية في المجتمع العربي قبل ظهور القضية التي أردت دراستها من خلال بحثي هذا، وثلاثة فصول حيث اشتمل الفصل على ثلاثة مباحث تطرقت فيه إلى مفهوم التصوف من مختلف الجوانب داخل العالم الإسلامي وخارجه،بالإضافة إلى أنني ذكرت أهم خصائصه وأنواعه،أما الفصل الثاني فقد اشتمل على التصوف عند أحد أهم مشايخ الصوفية،تحدثت فيه عن البيئة التي عاش بها الإمام الشاذلي وأهم ما ميز طريقه عن بقية الطرق

الصوفية،فأما الفصل الثالث والأخير فقد شمل كل من مناطق انتشار الطريقة الشاذلية وأبرز فروعها وفي الأخير ذكرت أهم الإنتقادات التي تعرضت لها الشاذلية وحكم الانتساب إلى هذه الطرق وأنتهى البحث بالخاتمة،وملحق الذي عبر عن أهم مؤلف للشاذلي ثم أتبعته بملخص شامل للبحث.أيضا ككل البحوث التي تواجه صاحبها بعض الصعوبات كنت قد مررت ببعضها أيضا و تمثلت بالنسبة لي في:

١- عدم توفر المادة العلمية حول المدرسة الشاذلية بما يكفي.

٢- تكرار تواجد المعلومات في أكثر من مؤلفين مما وضعني في موقف صعب لاستنباط و استخراج الفكرة المطلوبة في البحث.

٣- صعوبة بعض الأفكار و المفاهيم مثل التي صادفتني في كتاب حزب البحر كونها مفاهيم أعجمية إلّا أنّه وبعون الله حاولت تجميع ما استطعت من أفكار و معلومات يمكن أن يستفيد منها من بعدي في الدراسة.

## الفصل الأول:الخلفية التاريخية للتصوف

المبحث الأول: مفهوم التصوف

أولا: لغة و اصطلاحا

ثانيا: الخصائص العامة للتصوف.

ثالثا: أنواع التصوف

المبحث الثاني: التصوف في الفكر اليوناني

أولا: عند الطبيعيون الأوائل

ثانيا: عند هرقليطس

ثالثا : عند الأفلاطونية المحدثة

المبحث الثالث: التصوف في الفكر الدّيني

أولا: الفكر المسيحي

ثانيا: الفكر البوذي

ثالثا: الفكر الإسلامي

المبحث الأول : مفهوم التصوف

أولا:تعريف التصوف

١.لغة: من المشاكل التي تواجه أي قضية في ظهورها تحديد مفهومها أو اشتقاقها اللغوي، حيث نجد كل الباحثين فيها والمنشغلين بالقضية المعنية يعرفونها حسب توجههم الفكري وبيئة حياتهم ومن القضايا البالغة الأهمية التي تضاربت الآراء حولها وتداخلت الأفكاروالمفاهيم بخصوصها، التصوف حيث أنه وجد اختلاف كبير في أصل المصطلح وتعدد مفاهيمه التي من بينها ما يلي:

أنه منسوب إلى الصفاء والمقصود بالصفاء هنا خلوص الباطن من الشهوات والكدرات وعليه فإنّ علم التصوف يهتم بصفاء القلب من الكدرات التي تعد أمراض قلبية كالحقد والحسد والكبر ولم يأتي هذا إلّاهتمام بصفاء القلب هباء أو بعشوية إنما صنف حسب الحديث النبوية الشريف: " ألاوإنَّ في الجَسَد مضْغَة، إذا صلَحت، صلَح الجسدَ كُلُّه، وإذا فَسدَت، فَسدَ الجسدَ كُلُّه، وهي القَلْب". (رواه البخاري ومسلم). [١]

ونجد من منظور ابن الجوزي أنه يرجع كلمة التصوف إلى قبيلة يمانية أطلق عليها الإصطلاح قبل الإسلام وكان أولهم الغوث بن المر حيث أن أمه أنذرته لبيت الحرام وعلقت على رأسه منذ صغره صوفة فإنّتسبوا الصوفية إليه لمشابهتهم إياه في الإنقطاع لله وعليه فمن حيث المعنى الرمزي فكلمة صوفي مشتقة من كلمة صوفة لكن من حيث الدلالة التاريخية لا تمد لها بصلة. وتأتي نسبة التصوف إلى اليونانية "Sophie" ومن هذا المبدأ يخلص الكثير من الباحثين إلى أن بدايات التصوف كانت يونانية إلّاصل هذا ما حاول تبريره بما جاء في كتاب "أباء المدرسة الإسكندرية الأوائل"الذي أصدرته الكلية اللّاهوتية في الإسكندرية وفي رواية أخرى قد أسند مصطلح التصوف إلى نبتة صحراوية تسمى "صوفانا". [٢]

وفي رواية أخرى لعبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أخبرنا عبد الله بن يحي الطلحي عن حديث الحسين بن جعفر قال فيه حدثنا عبد الله بن نوفل قال حدثنا أبو بكر بن عباس عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون وقال: "ذهب صوف الدنيا وبقي الكدر فالموت اليوم تحفة لكل مسلم"[٣]، فغلبت هذه التسمية على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك فيطلق عليه متصوف وللجماعة متصوفة .

[١] عبده غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢، ص١١.

[٢] أحمد صبحي منصور،العقائد الدينية في مصر المملوكية،دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٠،ص١٩

[٣] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، تح: دكتور محمد بن الشريف، ج٢، دط،دار المعارف، القاهرة، ص٤٤٠.

ويذكر في رواية مخالفة للكلاباذي بأ ذي أن كلمة التصوف أخذت من مفردة الصف ويقصد بها الجماعة التي تكون في الصف الأول بين يدي الله عز وجل جلإله وإقبإلهم بقلوبهم عليه، وقيل أنهم سمو صوفية لتشابه أوصافهم مع أوصاف أهل الصفة الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. [1]

وعليه فمما سبق ذكره نستخلص أنه رغم كثرة الروايات حول تحديد أصل كلمة التصوف ولم سميت الصوفية هكذا إلّا أنّه لم يستطع أي من الباحثين أن يصل إلى اشتقاق الكلمة الصحيح الواضح فكل له اشتقاق حسب رأيه وهذا ما سنصادفه أيضا في المفهوم الإصطلاحي للتصوف حيث تختلف معانيه حسب تجربة كل قائل به.

٢.اصطلاحا:

يعتبر التصوف تجربة ذوقية فردية ولم يتفق الباحثون على تحديد تعريف محدد لكون كل متصوف ينطلق من تجربته الروحية مما لا يجعل تعريفه مطابقا لتعريف غيره، وبما أن التصوف تجربة فردية ذاتية فقد اختلف العارفين في تعريفه فنذكر من بين التعريفات المتعددة ما يلي:

عرفه ابن خلدون أنه العكوف عن العبادة وإلّانقطاع لله تعالى وإلّاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه وإلّانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذالك مشهورا عند الصحابة والسلف حسب رأيه ولما أقبل الناس على الترف والرفاهية في الدنيا اختص الذين تمسكوا بالعبادة باسم الصوفية فالتصوف عند ابن خلدون[2]، يلخص حقيقة العبادة ومجاهدة النفس والإجتهاد في العمل الصالح بغية نيل مرضاة الله عز وجل جلإله.

وذكره معروف الكرخي على أنه إلّاخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق، ونجده عند الجنيد على أنه ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع إتباع، وتحدث أبو الحسين النوري عن المتصوف فوصفه بالسكون عند العدم والإيثار عند الوجود وذكره الجريري على أنه مراقبة الأحوال ولزوم الأدب.

[1] أبوبكر محمد ابن إسحاق البخاري الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط٢، دار الكتب المصرية مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤، ص٧

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج٤، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨، ص٢١

وذكره معروف الكرفي على أنه الأخذ بالحقائق و الياس مما في أيدي الخلائق، ونجده عند الجنيد على أنه ذكر مع اجتماع ووجد مع إستماع و عمل مع إتباع، وتحدث أبو الحسين النوري عن المتصوف فوصفه بالسكون عندالعدم والإيثار عن الوجود.[1]

في فكر أبو الحسن الحصري أن الصوفي من كان وجده وجوده وصفاته حجابه أعنى من عرف نفسه فقد عرف ربه أي ان الصوفي الحقيقي هو الذي يعد وجوده الحقيقي في وجده و وحده عين فقده لأن من وجد نفسه في الله تعالى فقد وجوده المتعين المتشخص والصوفي أيضا هو:" من يرى صفاته حجبا تحول بينه وبين الله و هذا معنى قوله من عرف نفسه عرف ربه ، أي من أدرك فناء نفسه أدرك بقاء الله ، وفي تعريف ذو النون المصري : "هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شي فآثرهم الله عز وجل من كل شيء، وفي رواية أبو بكر الشيلي نجد التصوف بمعنى الجلوس مع الله بلا هم أي المتصوف هو الذي ينقطع عن الخلق فيتصل بالحق فهم أطفال في حجر الحق ، وعودة إلى الجنيد أيضا الذي كثر حديثه في التصوف فقال هو ان يختصك الله يا الصفاء ، فمن اصطفى من الحق سوى الله فهو الصوفي إضافة إلى ذلك التصوف ان يمينك الحق عنك ويجيبك به، وعرفه أيضا بالخلق مع الخلق والصدق مع الحق ونقصد هنا حسن الخلق والتعامل الطيب والكريم مع خلق الله بالإضافة إلى الأمانة والوفاء والطّاعة لرب العالمين.[2]

عرفه ابن سينا هو ذلك الإنسان المتصرف بفكرة إلى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق في سره وابن سينا في هذا القول يعرفه تحت مصطلح العارف وليس بالمتصوف. [3]

من خلال هذا التعريف فإنّ التصوف في عمقه هو تعظيم العبد لخالقه لأنه الحق وهو المشرق له والحق منه فالعبد قريبا إليه وموحدا له.

وفيه قال أبو الوفا التفتازاني هو فلسفة حياة تهدف إلى الترقي بالنفس أخلاقيا وتحقق بواسطة رياضات عملية تؤدي إلى شعور المرء في بعض إلّاحيان بالفناء في الحقيقة إلّاسمى والعرفان بها دوقا لا عقلها وثمرتها السعادة الروحية عن حقيقتها بألفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية الطابع و الذاتية.[4]

---

١ القشيري، المرجع السابق، ص٢٤٠.

٢القشيري، المرجع نفسه، ص ٢٤٤.

٣إبن سينا، الإشارات والتشبيهات، تح، سلمان دنيا، دط ١٩٩٨، القاهرة، مصر، ص ٥٨.

٤ أحمد صبحي منصور ،المرجع السابق ،ص ١٤.

ومما تم ذكره في قضية تعريف التصوف أو مفهوم التصوف وحقيقته لم نجد ولم نتوصل إلى تعريفين متطابقين فإنّ الإختلاف واضح بين التعاريف السابقة والمفاهيم المتعددة لمصطلح التصوف فكل باحث متصوف عرفه على حسب تجربته في هذا الطريق المنير الذي اقتدى به الكثيرين وأحيانا صادفنا تعدد معنى التصوف حتى عند المفكر الواحد مثلما رأينا عند الجنيد وغيره من المتصوفين إلّا أنّ الإختلاف والتعدد المفاهيمي لا يمنع من وجود العديد من نقاط التاشبه والتوافق بين التعريفات والمفاهيم المذكورة ،منه نستنتج أنّ التصوف هو الجانب الدّيني، الروحي، الذاتي والفردي للإنسان وظهر الإختلاف في وصف هذا الجانب عند كل منشغل به، ويمكن القول بأن الإختلاف الذي ذكر حول تعريف التصوف كان نتيجة مرتبة كل عارف بالتصوف فهو درجات وكلما اعتلى القلب درجة في التصوف تغير حاله واجتهد أكثر في دينه فيتغير مفهومه للتصوف.

والتصوف نوعان حسب ما حدده العلماء أحدهما ديني والآخر فلسفي، فالتصوفالدّينيظاهرة مشتركة بين الأديان جميعا سواء بالنسبة للأديان السماوية أو الأديان الشرقية القديمة،أما التصوف الفلسفي فقديم أيضا وعرف في الشرق وفي التّراث الفلسفي اليوناني وفي أوروبا بعصريها الوسيط والحديث .وكان التصوف يمتزج أحيانا بالفلسفة كما هو الشأن عند بعض الصوفية المسيحية والإسلام،كذالك كان يحدث امتزاج أحيانا عند فيلسوف من الفلاسفة بين النزعة العقلية والنزعة الصوفية، وبرأي راسل أن الفلاسفة الحقة هم الذين يتوصلون إلى التوفيق بين النزعتين .

ثانيا: الخصائص العامة للتصوف

تميزت التجربة الصوفية ببعض الخصائص والمميزات التي أقرها بعض الصوفيون حسب تجاربهم حيث إخترنا منهم أربعة خصائص وهي كالآتي:

١. أنها أحوال إدراكية إذ تبدو لأ صحابها على أنها حالّات معرفة وأنه يكشف لهم فيها عن حقيقة موضوعية وأنها بمثابة إلّالهامات (revelation) وليس من قبيل المعرفة البرهانية.

٢. وهو أيضا أحوال لا يمكن وصفها والتعبير عنها (ineffability) لأنها أحوال وجدانية ( states of feeling) وما كان كذلك يصعب نقل مضمونه للغير في صورة لفظية دقيقة.

٣. وهي بعد ذالك أحوال سريعة الزوال (transiency) أي لا تستمر مع الصوفي لفترة طويلة ولكن أثرها ثابت في ذاكرة صاحبها على وجه ما.

٤. بالإضافة إلى أنها أحوال سالبة من حيث أن الإنسان لا يحدثها بإرادته إذ هو في تجربته الصوفية يبدو كما لو كان خاضها بفعل قوة خارجية عليا تسيطر عليه.[١]

تعتبر هذه الخصائص المذكورة عامة وموجودة في التصوف بأنواعه لكنها ليست شاملة فهناك خصائص أخرى كثيرة لكننا إخترنا ما يناسب موضوعنا.

ثالثا: أنواع التصوف

إن الدارسين للتصوف خلال القرنين الثالث والرابع يلاحظون أنّ فيه نوعين واضحين للتصوف فالنوع الأول يمثله صوفية معتدلون في آرائهم ، يربطون بين تصوفهم وبين الكتاب والسنة بصورة واضحة، حيث أنّهم يزنون أقوالهم

وأفعالهم بميزان الشريعة، والنوع الثاني يمثله صوفية استسلموا لأحوال الفناء، ونطقوا بعبارة غريبة، كانت لهم تصورات لعلاقة الإنسان بالله الإتّحاد والحلول، وتصوفهم لا يخلو من المنازع الميتافيزيقية في صورة بسيطة. [٢]

١. التصوف السني:

المراد بهذا النوع من التصوف هو ما كان قرين الزهد والتقليل من متاع الدنيا وملذاتها، وهو امتداد لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وإن كان هذا الزهد لم يعرف باسم التصوف إلّا في أواخر القرن الثاني الهجري، فإنّ أصله ومعناه وحقيقته كان معروفا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وحث على ذلك القرآن الكريم[٣]، قال تعالى:

"يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ"[٤]، لذا لم يكن يزهد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم في دنياهم، ولا تابعوهم السلف الصالحين، ولم يكن الزهد عن قلة المال وإنّما الزاهد هو من جاءه المال فزهد فيه وأنفقه، قال تعالى ((وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ))[٥].

---

[١] أبو الوفا الغنيمي التافتازاني، مدخل إلى التصوّف الإسلامي، ط٣، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ص٤،٥.

[٢] أبو الوفا الغنيمي التفتازاني،المرجع السابق، ص ٩٩.

[٣] يوسف الشوبكي، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢م، غزة، فلسطين، ص ٥١.

[٤] سورة فاطر، الآية ٥.

[٥] سورة العنكبوت، الآية ٦٤ .

٢.التصوف الفلسفي:

هو التصوف الذي اختلط بالفلسفات القديمة حتى غلبت عليه أفكار الفلاسفة كالفلسفة الإشراقية والزرادشتية وهو أيضا يشتمل على رهبانية النصارى ودخلت عليه أفكار جديدة أيضا عن طريق تأثره بالفلسفة اليونانية العريقة والرومانية والفارسية وغيرها ومن أبرز الأفكارالتي ظهرت عند هؤلاء القوم هي وحدة الوجود وفكرة الحلول وكذلك الإتّحاد والإعتماد على العلوم الكشفية. [١]

وتميز هذا تانوع بحد ذاته ببعض الخصائص التي نذكر منها ما يلي :

١. المجاهدات:تعبر عن مقاومة النفس ومحاسبتها وتدريبها على ما يجب أن يكون في المريد.
٢. الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب: وتعبرعن التأمل والتدبر في حقائق الموجودات كل.
٣. التصرفات:وهي ما يميز الشخ الصوفي أو العارف كالكرامات.
٤. الألفاظ والأقوال الغير الإرادية:وهي التي تمثل الشطحات والمدائح التي يقوم بها الصوفي في زمن ومكان معين بطريقة معينة.[٢]

[١] يوسف الشوبكي، مرجع سابق، ص ٧٠.

[٢]عبد الرحمان بن خلدون،المقدمة،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،دس،ص474.

المبحث الثاني : التصوف في الفكر اليوناني

إن الدارس للميتافيزيقا اليونانية يدرك أن الهاجس المركزي الذي شغل الفلسفة اليونانية عبر مختلف أطوارها، هو إشكالية العلاقة بين الوحدة والكثرة، حيث أدرك فلاسفة اليونان منذ البداية وجود مبدأ واحد يقف وراء الكثرة من إلّاشياء كان محور اهتماماتهم، ولاسيما إن كان هدفهم الأول هو البحث عن أصل الوجود الذي اختلفوا في تحديده.

أولا: عند الطبيعيون الأوائل

أطلق أرسطو اسم الطبيعيين الأوائل على فلاسفة ملطية في القرنالسادس قبل الميلاد،فاشتهرت المدرسة الملطية بذلك إلّاسم،واعتبر جيجر أن أرسطو حين سمى المدرسة الملطية بالطبيعيين كان يقصد من لفظة الطبيعة عملية النمو،كما اعتبرها تدل على أصل الشيء.

ويذكر براتند راسل أن فكرة الطبيعة عن اليونان نشأت من النظر إلى حركة الكائنات الحية،ونموها،والتفكير في وجود قوة باطنة تحركها،وأن هذه القوة الداخلية التي تحركها هي إله من الآلهة.

لقد كان اهتمام الطبيعييناالأوائل بمسألة الوجود وما يتعلق به من البحث في الوجود الخارجي ،ولم تتجه عنايتهم إلى البحث في صدق وسائل المعرفة وحدود إمكانيتها وهذا يعني أن بحث هؤلاء الفلاسفة مقتصر على المادة فقط من أجل معرفة حقيقة الموجود المحسوس.

وقد حاول الفلاسفة الطبيعيون معرفة العالم المحسوس عن طريق الملاحظة وإلّاستدلال،فكانت أسئلتهم الفلسفية عن أصل العالم ،ونشأته ميتافيزيقية،وتفسيراتهم له تفسيرات مادية،والنتيجة التي تهدف لها هذه التساؤلات هي كشف حقيقة العالم الخارجي،كما هو مجسد فيالطبيعة المشاهدة،وقد اهتموا في أبحاثهم أن يجدوا جوابا لسؤال أصل الكون،ملتمسين ذلك في عناصرها الطبيعية،وذلكبعد اتفاقهم أن أصل العالم أو الموجودات من داخل العالم،لا خارجه.وهي مادة لها سمات هي محل اتفاق بينهم أنها قديمة وحية ومتحركة بذاتها،فتخيلوها تتحول إلى صور

الوجود المختلفة بموجب ضرورة طبيعية أي قانون ثابت،كما تقوم أيضا بخلق عوالم أخرى.[1]

[1] أحمد بن سعود بن سعد الغامدي،الإتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات،رسالة ماجيستير في العقيدة،كلية الدعوة وأصول الدين،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،٢٠١٤،ص ص٦٨،٦٧

ثانيا: عند هيرقليطس الآفسوسي

ولد هيرقليطس في مدينة آفس حوالي عام ٥٤٠ق،م،وازدهر طبقا لرواية ديوجنس اللايرتي في الأولمبياد التاسع والستين أي حوالي ٥٠٤_٥٠١ق،م ولا يمكن تحديد تاريخيه بدقة.

كان هيرقليطس سليل أسرة أرستقراطية نبيلة،وقد ورث منصبا دينيا وسياسيا كبيرا،لكنه تنازل عنه لأخيه الأصغر ،وكان هذا المنصب الدّيني هو منصب الكاهن الأعظم لمعبد آرتميس،وإن كانت بعض الروايات تشير إلى أن هيرقليطس على رغم اعتزإله الحياة السياسية إلّا أنّه كان يتدخل من حين لآخر فيها.

كتب هيرقليطس رسالة نثرية ضمنها آراءه الفلسفية ،ولم يبق منها إلّا شذرات متناثرة بلغت قمة الغموض حتى تكاد تستعصي معه على الفهم،حتى أصبح هيرقليطس يلقب بالغامض تارة وبالمظلم تارة أخرى.

يعتبر هيرقليطس من الفلاسفة الذين يختلف المؤرخون فيه اختلافا عظيما فيما بينهم حول تفسير فلسفته فقد ذهب القدماء وعلى رأسهم أرسطو أنه من جملة الطبيعيين الأوائل،لأنه نشأ في أيونية ولأنه قال بالنار علة أولى للأشياء ،وكذلك في العصر الحديث يتابع جومبرز وإلى حد ما زللر وبرنت ويوسف كرم أرسطو فيضعونه ضمن الطبيعيين الأوائل.

بينما ذهب فريق آخر إلى كونه مغايرا في فلسفته للطبيعيين الأوائل ومتميزا عنهم بكونه فيلسوفا من طراز آخر.فهو لم يتصف بالنظرة العلمية التي يتميز بها أهل ملطية بل كان صوفيا من نوع فريد.

اختلف هيرقليطس لمن قبله من فلاسفة ملطية في قوله بالتغير الكيفي للمبدأ الأول للوجود على غرار ما قال به من فلاسفة الذين سبقوه حيث أقروا بالتغير الكمي الذي يكون عن طريق الإمتداد والتقلص...إلخ[1] ،وتم تصنيفه من الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود وقد ظهرت النزعة الصوفية عنده في تخليه عن الأمور الدنوية كالمناصب والبزخ،ومال إلى حياة العزلة والهدوء.

[1] أحمد بن سعود بن سعد الغامدي،المرجع السابق،ص ص٩٩،٩٧

ثالثا: الأ فلاطونية الحديثة

عرفت الأفلاطونية المحدثة على أنها التسمية التي أطلقت على مدرسة للصوفية الفلسفية التي تكونت في القرن الثالث مبنية على تعاليم أفلاطون وتابعيه الأوائل ويعد أفلوطين وأستاذه أمونيوس سكاس من المساهمين الأوائل في هاته الفلسفة، ومن أهم ما ارتكزت عليه الأفلاطونية الحديثة على الجوانب الروحية والكونية في الفكر الأفلاطوني حيث اتجهت عنايتها إلى محاولة إنتاج مذهب فلسفي يمكن أن يلبي مطامح الإنسان الروحية جميعا عقلية ودينية وأخلاقية بتقديم صورة شاملة ومنسقة منطقيا للكون وكيفية استعادة توازنه وحالته الأصيلة المفقودة.[1]

أول من طور هذا النسق أو المذهب هو أفلوطين تلميذ أمونيوس سكاس الذي جسد حالة من الحياة الروحية أو الدّينية المقدسة بين النفس وخالقها فقد عاش حياته على الزهد والتقشف لتطهير الروح من أدران الجسد فلم يكن

ينعم بالنوم إلّا بقدر ما تضطره الحاجة اضطرارا ولم يكن يبيح لنفسه من الطعام إلّا ما يقيم أوده بالإضافة أنه تنازل عن كل ثروته وفك رقاب من كان يملك من رقيق وكان يصوم يوم بعد يوم وحاول أن يتصل بالله كثيرا، وما ذكر عنه أنه ظفر بذلك أربع مرات ما أقر به أفلوطين (وقد حدث مرات عدة أن ارتفعت خارج جسدي بحيث دخلت نفسي كنت حينئذ أحيا وأظفر باتحاد مع إلاهي).[2]

فكما درسنا سابقا حول الفكر اليوناني القديم فإنّ الكون ينقسم إلى قسمين العالم الروحاني العلوي والعالم السفلي أو العالم المحسوس الدنيوي، ونقطة الإتصال بين العالمين هي الإنسان الذي بدوره يتكون من النفس والجسد حيث أن النفس كانت تعيش في العالم المثالي أو العالم الروحاني ونزلت إلى العالم المحسوس المادي وهكذا سقطت قدسيتها وتم انحصارها في الجسد وكان الوازع الدّيني القوي يتمثل في مدى محافظة النفس على علاقتها مع العالم الروحاني أو بإلّاحرى مع القوة العليا التي بفضلها وجد العالم المحسوس، التي سماها أفلاطون بالنفس الأولى ومنها انبثقت النفوس الجزئية الآخرى كالطبيعة والمادة والنفس المنبثقة في الكائنات وعبر أفلاطون عن انبثاق النفوس الجزئية عن نفس العالم هو كانبثاق الضوء من مركزه وكلما بعد عن المركز ضعف حتى يصير ظلاما.والظلام هنا يقصد به المادة التي في نظره هي آخر مرتبة من مراتب العالم السفلي

[1] مصطفى محمد قصيبات، مدرسةالإسكندرية ونشأة الأفلاطونية الحديثة، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراتة، د ط، د س، ص٢١٧.

[2] احمد أمين، زكي نجيب محمود.قصة الفلسفة اليونانية، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥، ص ٣١٨.

وأبعد درجة عن القوة العليا التي أوجدت الكون، وتكمن غاية الحياة البشرية في التحرر من هذا الظلام الذي يكون ضمن ثلاث خطوات حسب نظرية الأفلاطونية الحديثة وهي كالآتي:

الخطوة الأولى: لذلك التحرر من سلطة الجسم والحواس وعن هذا تنشأ الفضائل العادية .

الخطوة الثانية: وتمثل الفكر والتفلسف.

أما الخطوة الثالثة: أن تسمو النفس فوق التفكير وتصل إلى "اللقانة" أو المعرفة أو العلم اللدني، وكل هذه الخطوات هي إعداد للدرجة الأخيرةهي أن يذوب في الله وذلك بإلهيام والغيبوبة والوجد عند ذلك تتحد النفس بالله، ولا يقال في هذه الدرجة أنه يفكر في الله ولا ينظر إلى الله لأن كل هذه عبارات تدل على الإنفصال أو وجود شيئين إنما يتحد بالله ويكون هو وهو وحده، وتصل النفوس البشرية الراقية إلى هذه الدرجة في لحظات من الحياة ثم تعود إلى حالتها البشرية العادية فهذا الإتّصال القريب بين النفس البشرية والإله وسمو الروح إلى العالم العلوي الروحاني أو العالم الدّيني المثالي عالم الفضائل الطاهر هو ما يعبر عنه على أنه تصوف في الفكر أو الثقافة اليونانية.[1]

[1] أحمد أمين زكي نجيب محمود، المرجع السابق، ص ص ٣٢٢-٣٢٤.

المبحث الثالث: التصوف في الفكر الدّيني:

أولا: التصوف في الديانة المسيحية

مما لاشك فيه أنّ الديانة المسيحية من الديانات العريقة لها خصوصيتها وقدسيتها التي عرفت من خلالها عدة مذاهب أخلاقية ودينية كثيرة فنجد الغنوصية المسيحية،[1] وقد ظهرت منذ بداية المسيحية أو ما تدعى بالعرفإنّية وهي تقتصر على المعرفة الدّينية في الكنيسة وأيضا مصطلح الرهبنة الذي شغر مساحة كبيرة من الديانة المسيحية حيث عبر عن نظرية نسكية وفكرة فلسفية قوامها التبتل والتعبد في البراري والجبال بعيدا عن العالم في حياة زهد وفقر اختياري وا ستخدمت كلمة رهبنة في بادئ إلّامر للتعبير عن حياة العزلة الكاملة ولكنها أستخدمت فيما بعد للتعبير عن حياة الكنوبيون cenobiteslife وفي ذلك أستخدم لفظ الرهبنة في معناه الواسع للتعبير عن الحياة التي عاشها النساك بعيدا عن العالم سواء في عزلة كاملة أو في حياة شركة.

وإلى هنا نصل إلى مذهب آخر عرفته المسيحية ألا وهو التصوف المسيحي الذي كان تجسيدا للممارسات والنظريات الصوفية داخل المسيحية كثيرا ما كان متصلا مع اللّاهوت التصوفي وخاصة في التقاليد الكاثوليكية والأ رثوذكسية الشرقية وعليه فإنّ مصطلح التصوف لم يظهر مباشرة في مفرده هذا إنما عبر مراحل وبعود ظهوره إلى القرون الميلادية الخمسة الأولى مع ظهور مجموعة من الروحانيين المسيحيين ذكرهم التاريخ المسيحي[2]، على أنهم معلّموا اللّاهوت المسيحي وجاءت الروحانية الشرقية على عبارة اللّاهوت الصوفي التي لا تشير إلّا إلى روحانية تعبر عن موقف عقيدي، بمعنى ما كل لاهوت هو صوفي وذلك كونه يكشف السر الإلهي ومعطيات الإعلان.

من جهة أخرى كثيرا ما توضع الصوفية إزاء اللّاهوت كما لو كانت مجالا لا تبلغه المعرفة أو السر المتعذر بيانه عمقا خفيا لا ندركه بقدر ما نحياه يعتلي لخبرة نوعية[3]، تتجاوز إمكانية فهمنا لإدراك حواسنا أو عقلنا إذا ما تبينا من دون تحفظ، فلم يميز التقليد الشرقي يوما بين الصوفية واللّاهوت بين الخبرة الشخصية للأسرار الإلهية وعقيدة الكنيسة وعليه نجد أن اللّاهوت والصوفية لا يتعارضان بل يتساندان ويتكاملان الواحد مستحيل دون الآخر.

[1] الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للأقباط الأرثوذكس، ص١.

[2] محمد ابراهيم، مقا ل التصوف في الأديانالسماوية الثلاث، معهد الدراسات الدينية والفلسفية.د ط، د س، د س.

[3] فلاديمير لوسكي، بحث في اللاهوت الصوفي لكنيسة الشرق، تعريب نقولا أبو مراد، منشورات النور، بيروت، ٢٠٠٠، ص ص ٥-٦.

فإذا كانت الخبرة الصوفية تنمية شخصية لمحتوى الإيمان المشترك فاللّاهوت هو تعبير لمنفعة الجميع عما يمكن أن يختبره كل واحد.

بالإضافة إلى مصطلح اللّاهوت الصوفي نجد أيضا مصطلح إلّاماتة في الديانة المسيحية وتعني إماتة الجسد بالقضاء على الرغبات والنوازع وإلّاهتمامات والتركيز على الفكر فقط وتعد هذه النقطة من التدريبات المهمة في حياة الرهبنة.ومما سبق ذكره نخلص إلى أن الحياة الروحية أو الدّينية مهما اختلفت تسميتها عبر الزمن واختلاف الروايات عنها إلّا أنّها تبقى تشير وتجسد مفهوما واحدا أو تعريفا واحدا إلّا وهو علاقة الإنسان بخالقه ومدى تمسك وانغماس شخصية الفرد في عالمهالدّينيوترفعه عن العالم الدنيوي.[1]

ثانيا:التصوف عند البوذية

كنا قد صادفنا التصوف الفكري المسيحي تحت مصطلح الرهبنة أو اللّاهوت الصوفي بينما نجد في الثقافة البوذية مفردةالنرفانةهي ما يمثل الجانب الدّيني من الحياة في الفكر البوذي وهي تمثل المرحلة التي يصل إليها الإنسان البوذي لكي يتخلص من المعاناة بعد اجتازه مراحل عديدة من رياضة النفس والتأمل العميق الذي يسقط الشعور بالمؤثرات الخارجية المحيط و بحيث يصبح منفصلا عن النفس والعالم بهدف تحقيق السعادة القصوى ولكبح جماح جسد والسيطرة على شهوات نفس وإلّابتعاد عن كل المشاعر السلبية لكي يتحقق السلام والتوازن الروحي التام.

ويقول فيها كريسمس هيمفري: "إن المجهود الصحيح للعابد يجب أن يتطور ليصل بإلّارادة القوية إلى مراحله النهائية ففي المرحليتين النهائيتين هناك نظام كامل للسيطرة على العقل والتطور العقلي حتى تقوده إلى حضيرةالنرفانةوالمرحلة الأولى هي التركيز على الموضوع المختار والثانية هي طرد الرغبات، ويمر البوذي للوصول إلى محلةالنرفانةعلى المراحلالآتية:

١. الإعتقاد الصحيح.
٢. النوايا الصحيحة.
٣. الخطاب الصحيح.
٤. الأفعال الصحيحة.
٥. المساعي الصحيحة.
٦. الإمتلاء العقلي لأفكار صحيحة.

[1] أحمد عاشوري، التصوف في الديانات السماوية الخلدونية الجديدة والمؤسسات العمرانية والسلطة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة مستغانم، ٢٠٢١، د س، د ط، ص ١٢٢.

٧. التأمل الصحيح والتركيز الصحيح.

٨. مرحلة تحرير العقل.[١]

وللسير في هذه الطريق يجب إعطاء أهمية قصوى لممارسة التأمل بالنسبة لكل راهب بوذي ولكل مبتدئ كي يحقق أقصى درجات التركيز ففي المرحلة الأولى يمكن التحكم في العقل البشري وتدريبه أن يرى إلّاشياء مجردة ثم ليمكنه بالتحكم في العواطف وشهوات النفس وأهوائها وتسمى هذه المرحلة Satipathana وفي المرحلة الثانية يتجاوز العقل حدود إ لّالة العقلية عن طريق العقل نفسه من خلال التحكم فيه والوصول إلى مرحلة اللاعقل والعقل المعاص ليصل بما يعرف ببصيرة الروح Vispasana وهذا ما يعرف بمرحلة تحرير العقل Bahavana ويطلق على هذه العملية مصطلح ساما Samma بمعنى الملىء العقلي الصحيح.[٢]

ثالثا: التصوف في الإسلام

ترجع نشأة التصوف فيالإسلام إلى حركة الزهد العظيمة التي ظهرت تحت تأثير المسيحية في القرن السابع الميلادي .بالبصرة كما هو واضح من كتب تراجم الصوفية التي تفيض بأخبارهم وأقوإلهم ومنهم كثيرون من كبار زهاد العصر الأول واحتفظت هذه ا لحركة بطابعهاالإسلامي إلى حد كبير بالرغم من أنها عرفت عدة نواحي خارجة عن روحالإسلام.

وقد عرف الإسلام الزهد على أنه معنى يتحقق به الإنسان فيجعله صاحب نظرة خاصة للحياة الدنيا يعمل فيها ويكد ولكنه لا يجعل لها سلطانا على قلبه ولا يدعها تصرفه عن طاعة ربه،[٣] وقد اتصفت هذه ا لحركة الزهدية آنذاك بالخصائص الآتية:

١. الوازع الدّيني العميق والشعور الغامر بالضعف الإنساني.

٢. الخوف الشديد من الله والتفويض التام لله والخضوع لإرادته.[٤]

والزهد ثلاث درجات تتفاوت حسب تفاوت قوته هي:

---

[١] نيفين ابراهيم ياسين، حال الفناء في التصوف الإسلامي والنرفانة البوذية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع ٥٢، ٢٠١٣، ص ١١٨٩-١٢٠١.

[٢] نيفين ابراهيم ياسين، المرجع السابق، ص ١١٨٩-١٢٠١.

[٣] أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المرجع السابق، ص٥٩.

[٤] رينولد ألن نيكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، تعريب أبو العلا العفيفي، مكتبة العرب، د ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧، ص٦٩

الأولى وهي السفلى أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه لها مائل ولكنه مع ذلك يجاهدها وربّما جذبته شهوته فعاد للدنيا وارتاح لها قليلا أو أكثر.

الثانية وهي أعلى من الأولى أن يترك الدنيا طوعا لاستحقاره لها وهذا الصنف يرى لا محالة زهده ويلفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده فيظن أنه ترك شيئا له بالمقابل شيء هو أعظم منه قدرا وفي هذا شيء من النقصان.

وأما الثالثة وهي العليا أن يزهد طوعا ويزهد في زهده حتى لا يرى زهده فلا يرى في ذالك معارضة وهذا هو الكمال في الزهد بسبب كمال المعرفة.[1]

هذا ملخص الحياة الدّينية في الفترة الأولى ورغم الإحساس بالدّين العميق إلّا أنّه لم يتبلور التصوف كمذهب قائم بذاته تحت هذا المصطلح إلّا في المرحلة اللاحقة لهذه المرحلة وهي ما سميت بفترة التصوف الذي كان مصدره اثنان لا ثالث لهما إلّا وهما الكتاب والحديث_أي خطاب الله عز وجل(القرآن) وسنة رسوله الكريم _وهذا ما جسده ما أطلق عليهم تسمية أهل الصفوة أو الصفويين فقد فهم أهل الصفوة خطابه تعالى في قوله " ونُنزلُ منَ الْقُرآن مَا هُوَ شفَاءٌ ورَحْمَةٌ للْمُؤْمنين. "[2] "الم، ذَلكَ الْكتَابُ لَا رَيْبَ فيه هُدًى للْمُتَّقين"[3] وأصبح فهمهم لَلقرآن طَاغيا كاللَجين فيه إلهدَى وَالرحمة وفيه فصلَ الخطاَب لم قد شكلَ هَو تبيان وَبشرَى للمتقين.

إن أهل العلم والفهم من الصفوة يعلمون أن القرآن يهدي إلى الصواب وذالك بعد التدبير والتفكير والتيقض والنذر وحضور القلب عند القراءة لقوله تعالى: " إنَّ فِي ذَلكَ لَذكرَىٰ لمَن كَانَ لَهُ قَلب أَو أَلقَى ٱلسَّمع وهو شَهيد "يعني حاضر القلب وقوله عز وجل أيضا وإن منَ شيعتَه لإبراَهيم إذا جاء ربه بقلب سليم "قال أهل الفهم القلب السليم هو الذي ليس فيه غير الله.فهذه الجماعة قد بقيت ملتزمة بقواعد الشرع متمسكة بمحاربة النفس والتوكل على الله في جميع أمورهم وكان خوفهم من الله أشد من حبهم إياه وبالجملة لم يكن في تصرفهم صفات بارزة يمتازون بها ولا وجهة نظر خاصة بل وقفوا في منتصف الطريق بين الزهد والتصوف وقد كان أفضل وصف يعبر عن موقفهم هو وصفهم بالرضا وهذي الفترة قد مثلت التصوف الإسلامي المحض حيث أنها لم تخرج عن نطاق ما جاء به القرآن الكريم وأوامر الله وطاعته فيها بالإضافة إلى أنها

[1] عبد الحميد الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، د ط، مطابع ايفريقيا الشرق، الإسكندرية، ١٩٨٧، ص ١٥٢.

[2] سورة الإسراء،الآية ٨٢

[3] سورةالبقرة،الآية٢

تميزت بظهور الفرق الكلامية من بينها الفرقة الأشعرية التي مثلت الطريق السني بحذافيره إلى أنه وفي وقت لاحق دخلت عدة أفكار ونظريات مختلفة غيرت منهاج هذا المذهب المحض الذي بدوره أدى إلى ظهور نوع آخر للتصوف ألاوهو التصوف الفلسفي كما ذكرنا سابقا [1]،بأنه الجانب إلهجين من التصوف حيث أن حركة الزهد والتصوف التي حافظت على قوتها إلى حد ما في القرنين الأول والثاني قد طغت عليها اتجاهات جديدة في البحوث النظرية والكلام في وحدة الوجود وازدهر ظهور هذه الإتجاه على مر الزمن بعد أن كانت في المرتبة الثانية سابقا أطلق على هذا الإتّجاه اسم الصوفية المتفلسفة فقد مزجوا تصوفهم بالفلسفة فجاءت نظرياتهم بين لاهي تصوف خالص ولا هي فلسفة خالصة من بينهم نذكر السهروردي المقتول والشيخ الأكبر محي الدّين بن العربي.

وحاول البعض من المتفلسفة الصوفية تأسيس طرق ولكنه لم يكتب لهذه الطرق أن تستمر في العالم الإسلامي لما جاب حول مؤسسيها من شبهات على سبيل هذه الطرق الطريقة الأكبرية للشيخ محي الدّين بن عربي والطريقة السبعينية للشيخ ابن السبعيني المرسي، إلّا أنّه بعض الطرق التي غلب على محتواها الإتّجاه العملي التربوي قد أخذت قسطا وافرا أهلها إلى أن تستمر ليومنا هذا على سبيلها نجد الطريقة الألحمدية التي أسسها الشيخ أحمد البدوي والطريقة الشاذلية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي.[2]

[1] رينولد ألن نيكولسون، المرجع السابق، ص٧٠.

[2] أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المصدر السابق، ص١٩.

## الفصل الثاني: نبذة عن حياة الشاذلي وبداية طريقه

المبحث الأول: حياة وفكر أبو الحسن الشاذلي.

أولا:نسبه ومولده

ثانيا: نشأته و تربيته

ثالثا: أهم تلاميذ الشاذلي و شيوخه و مؤلفاته

المبحث الثاني: التصوف في فكر الشاذلي

أولا: الفقر والكرامة عند الشاذلي

ثانيا: المسائل العقائدية لدى الشاذلية

ثالثا: الخصائص العلمية وأصول الطريقة الشاذلية

المبحث الثالث: علاقة الشاذليةبالمجتمع الجزائري

أولا: دورها في إقامة الزوايا

ثانيا: التربية عند الشاذلية

ثالثا: التعليم من خلال الزاوية الشاذلية

المبحث الأول:حياة وفكر أبو الحسن الشاذلي

أولا: نسبه ومولده

شيخ الطريقة الشاذلية، وأصل مددها،وعنصر مشربها،وقطب دائرتها الذي تدور عليه، وهو السيد الأجل الكبير سيدنا ومولانا القطب الرباني العارف الوارث المحقق بالعلم الصمداني، صاحب الإشارات العلية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، والأسرار الربانية،والمنازلات العرشية الحامل في زمانه لواء العارفين، والمقيم فيه دولة علوم المحققين، كهف الواصلين، وجلاء قلوب الغافلين، منشئ معالم الطريقة ومظهر أسرارها، ومبدئ علوم الحقيقة بعد خفاء أنوارها ومظهر عوارف المعارف بعد خفاءها واستتارها،الدّالّ على الله وعلى سبيل جنته، والدّاعي على علم وبصيرة إلى جنابه وحضرته، أوحد أهل زمانه علما وحالا،ومعرفة ومقالا ذو النسبتين الطاهرتين الروحية والجسمية، والسلالتين الطيبتين الغيبية والشاهدية، والوارثتين الكريمتين الملكية والملكوتية، المحمدي العلوي الحسني الفاطمي الصحيح النسبتين، الكريم العنصرين فحل الفحول إمام السالكين الأستاذ الواصل المربي[1]، أبو الحسن الشاذلي، هو تقي الدّين أبو الحسن سيدي علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن علي بن احمد بن محمد بن عيسى بن إدريس المبايع له ببلاد المغرب بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2]، ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهذا هوالنسب الصحيح الشيخ الإمام حجة الصوفية زين العارفين.[3]ولد رحمه الله تعالى عام ٥٩٣هـ بقرية غمارة القريبة من مدينة سبتة بالمغرب وعاش بنفس القرية.[4]

[1] محمد بن قاسم الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ط٢،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٥، ص ١٩

[2] أبي الفضل العباس أحمد بن منصور القرطام ،الدرر النقية بتراجم وسند الطريقة الشاذلية ،ط٤ ،المركز الوطني للبحوث والدراسات التابع لآل البيت ،فلسطين ، ٢٠١٩ ،ص٧٤

[3] محمد بن قاسم الكوهن، المرجع نفسه ص٢٠

[4] عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، ط٥، دار المعارف،، د س، ص ١٢٤.

ثانيا: نشأته وتربيته

تربى ونمى بقرية غمارة، ومثل الجانب العلمي شخصية الشاذلي فقد بدأ الدراسة والتحصيل صغيرا فتثقف كأحسن ما يكون المثقف على الطريق العادي في حفظ القرآن والسنة وأخذ يتعلم العلوم الدّينية على يد شيوخها فقد نشأ في رحاب الدّين لكنه لم يكتف بهذه العلوم، فقد أيقن أن العلوم الظاهرة مهما بلغت بها الدقة ومهما بلغ بها العمق لا تقضي بالنفوس الطموح للتطلع إلى عالم الغيب، واستشراف ألائه والنفوس الطموح كلما ازدادت علما ازدادت شعورا بالنفس وهذا يجعلها تبحث أكثر فأكثر وما أكثر ما أثر في نفس الشاذلي شعوره بالقرب من الله وأن ينير قلبه بأنوار المعرفة غير الموجودة في علوم الظاهر.[1]

وقد عاصر رحمه الله تعالى ابن العربيالحاتمي، وأبا الحسن علي بن عبد الششتري الأندلسي، وابن سبعين، وقطب الدّين القسطلاني، والحافظ عبد العظيم المنذري، والقرطبي المفسر وغيرهم من الأكابر.

وبالجملة فسيدنا ومولانا أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه من أفراد هذه الأمة وأكابر أقطابها، ويعتبر المحور الذي تدور عليه الطرق الشاذلية، ويعد رحمه الله تعالى المجدد لطريق التصوف في القرن السابع إلهجري والناشر لها والداعي إليها، وقد تر ك بعده وخلف ورائه أئمة كباراً للتصوف والصوفية، لو لم يكن منهم سيدنا أبو العباس المرسي لكفى، فكيف بغيره من العباقرة والأعلام.[2]

ثالثا: تلاميذ الإمام الشاذلي وشيوخه،ومؤلفاته

أ.تلاميذه:

١.أ. المرسي أبو العباس:

ولد المرسي أبو عباس في (مرسيه) وهي بلدة الأندلس عام ١٢١٩م-٦١٦هـ وإليها ينسب وينتهي نسبه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرش وكان والده تاجرا أرسله إلى من يعلمه القرآن الكريم وكان في سن صغيرة وحفظ القرآن الكريم ودرس على هذا الفقيه أمور الفقه وعندما بلغ سن الشباب أخذ يثقف نفسه بنفسه إشتغل في نفس الوقت مع والده في أمور التجارة وعندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره عزم والده أن يأخذ أسرته إلى الحجاز لآداء فريضة الحج، وبينما هم في البحر قامت عاصفة عاتية على أثرها غرق الوالد والوالدة، ونجا هو وأخوه محمد كانوا بالقرب من شاطئ تونس، وكانت الأقدار تعده بأن يسلك طريق الصوفية وان يلتقي بالشاذلي ويصبح تلميذه وخليفته.

[1] أحمد أبو كف، أعلام التصوف الإسلامي، ط٢، دار التعاون، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢، ص٤٢.

[2] أبي الفضل العباس أحمد بن منصور قرطام، المصدرالسابق ص ٧٥.

٢.أ. ابن عطاء الله الإسكندري

ابن عطاء الله الإسكندري من أشهر الأسماء في عالم التصوف وهو تلميذ أبي عباس المرسي خليفة العباس الشاذلي وإلى ابن عطاء الله الإسكندري يرجع الفضل بالتعريف بمؤسس الطريقة الشاذلية أبي الحسن وتلميذه أبي العباس المرسي، فد كتب عنهما عن طريقتهما الشاذلية بل وقد خلف ابا العباس المرسي في رئاسة هذه الطريق وقد ولد و بين سنتي ٦٥٨ هجري و ٦٧٩ هجري حسب ما ذكره أبو الوفا التفتازاني.[١]

ب. شيوخه:

١.ب. سيدي عبد السلام بن مشيش

قطب دائرة المحققين، أستاذ أهل المشارق والمغارب، وسند الواصلين إلى أنجح المطالب، سيدنا ومولانا عبد السلام ابن سيدنا مشيش ابن سيدنا أبي بكر الحسني الإدريسي.

كان رضي الله عنه قطب الوجود، وبقية أهل الشهود الغوث الفرد، الجامع ٦٠ أسرار المعاني، غوث الأمة، وسراج الملّة، صاحب العلوم اللدنية ، والمعارف الربانية، الجامع بين علم الشريعة والحقيقة [٢] ، لم تطلع الشمس على مثله في زمنه . له كرامات وخوارق لا تدخل تحت حصر، منها: أنه يوم ولادته سمع سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ونفعنا به ،آمين هاتفاً يقول: يا عبد القادر، ارفع رجلك عن أهل المغرب، فإنّ قطب المغرب قد ولد في هذا اليوم.[٣]

٢.ب. الشيخ أبي مدين

هو سيدي الإمام شعيب،يكنى بأبي مدين،ومدين اسم ولده،في بلدة بجاية أنجبه،فعرف بأبي مدين،ومدين هذا هو المدفون بمصر بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي ببركة القرع خارج السور مما يلي شرقي مصر عليه قبة عظيمة ،وأما اسم والده فاختلفت كتب التراجم وغيرها في اسم والد الشيخ أبي مدين،فمنهم من قال:شعيب بن الحسين

ومنهم من قال بأنه:شعيب بن الحسن،وأيضا من قال شعيب بن حسين بدون تعريف(ال).[٤]

---

[١] مأمون غريب ،أبو الحسن الشاذلي حياته تصوفه تلاميذه وآراءه،دط ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٩٨- ١٠٨.

[٢] القشيري،المرجع السابق ص ٨٢ - ٨٣.

[٣] أبو الفضل العباس احمد بن منصور قرطان،المصدر السابق ط ٤، د ب ،٢٠١٩، ص ٧٥ .

[٤] عبد الحكيم عبد الرحيم علي،أبو مدين شيخ الشيوخ حياته وتصوفه،مجلة كلية أصول الدين والدعوة،جامعةالأزهر،مصر،ج١،٢٠١٩،العدد٣٧،ص ص٥٩٤،٥٩٣

ولد الشيخ أبي مدين في قطينانة إحدى القرى القريبة من إشبيلية،كان ذا ميول للعلم فأقبل عليه بحماس حتى إنه ترك بلده إلّام ليرتحل نحو فاس بالمغرب ،ليأخذ عن علماءها جذبته إليهم شهرتهم،وساقه في طريقه الشيخ أبو يعزي.

توفي أبي مدين في عام ٥٩٤هـ،ودفن بالعباد بالقرب من تلمسان.[١]

ج.مؤلفات للشيخ أبو الحسن رحمه الله

مما نقل عنه أنه لم يترك كتابات ولا مؤلفات كثيرة فكان عندما يسأل عند كتبه يرد قائلا كتبي أصحابي إلّا أنّه تم جمع بعض مما ترك فيما يلي:

١. الأوراد المسماة حزب الشاذلي،وهو عبارة عن أدعية وأذكار وكل ما يخص الطريقة الشاذلية.

٢. رسالة الأمين للوصول لرب العالمين،وهو كتاب قيم يخص التصوف وتبه على أبواب وكل باب يشرح قضية معينة في مذهب أهل التصوف.

٣. السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل أو المسمى بالجواهر الموصونة واللآلئ المكنونة لصفوة الأولياء الكاملين وقدوة العلماء العاملين.وسمي الكتاب على أكثر دعوة كان أهل السنة عليها.

٤. نزهة القلوب وبغية المطلوب، هذه هي بعض الكتب التي نقلت عن السيد الإمام أبو الحسن الشاذلي والتي حملت منالأفكارالدّينية المحضة ووصايا للتابعين وخواص الطريقة المتبعة ما هو مهم وذو معنى كبير.[٢]

توفي الإمام الشاذلي في صحراء عيذاب بمصر في طريقه للحج سنة ٦٥٦هـ ولازال ضريحه موجود إلى الحين ويزورونه كل عام بمولده وقام بعض المصريين بتجديد ضريحه بغرف الزوار.

[١] عامر النجار،المرجع السابق،ص٨٢

[٢] الحميري المعروف بابن الصباغ، درةالأسراروتحفة الأبرار،المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠١، ص٦.

المبحث الثاني: التصوف في فكر الشاذلي :

اختار الشيخ الشاذلي طريق التصوف، وقرر أن يمشي فيه ويتبحر في علمه وفقهه وقام بالكثير من الرحلات للبحث عن المعرفة الحقة من أساتذة كبار فتنقل إلى بغداد حيث التقى بالشيخ الإمام أبو الفتح الواسطي سنة ٦١٨هـ تلميذ الإمام الرفاعي الكبير الذي أرسل الواسطي للإسكندرية لينشر بها الطريقة الرفاعية، وكان الشاذلي أكثر اتصاله بالعباد والمتصوفة وكان أكثر تأثره في رحلته هذه بالشيخ أبي الفتح الواسطي.[١]

وكان للقاء الواسطي بالشاذلي أثر كبير في مجرى حياة الشيخ الشاذلي فحين ذهب للعراق واجتمع به عام ٦١٨هـ، بلغه أنه جاء للعراق يطلب القطب فقال له أبو الفتح الواسطي أتطلب القطب في العراق والقطب ببلادك فعاد الشاذلي إلى المغرب ليلتقي بمعلمه وشيخه الكبير القطب الجليل أبي محمد بن عبد السلام بن مشيش.كان من كبار المتعبدين الزهاد آنذاك وصاحب صحوة وفطنة وهو من تنبأ بسبيل الشاذلي القادم فأمره أن يرتحل إلى إفريقيا لمنطقة تدعى شاذلة ثم إلى تونس وبحسب قوله تنقل أبو الحسن الشاذلي إلى المكان فسكن بمغارة في جبل زغوان المطل على شاذلة، وظل يعبد ربه هناك والعمل على تقربه من خالقه بكل ما يرضيه[٢] من صوم ونوافل إلى أن ذاع صيته بعين المكان وأصبح الناس يقصدونه متبركين به إلى أن ذهب إلى تونس وفتح له دارا بالمسجد هناك يقدم دروسا لكنه لم يترك مغارته أو بالأحرى زاويته بجبل زغوان من هنا جاءت تسمية الشاذلي وكانت بدايته في إنشاء الطريقة الصوفية الشاذلية من زاوية منطقة شاذلة، إلّا أنّه لم ترسخ وتتضح طريقته إلّا بعد انتقاله لمصر بعدما تعرض للكثير من الإتهامات التي كانت قد تؤدي بحياته مثلما حدث مع شيخه.

وإذا أخذنا نتحدث في تصوف أبي الحسن الشاذلي ومدرسته أو مذهبه الصوفي فإنّنا لا نخرج عن الحديث في إطار الكتاب والسنة فهو يتبع منهج القرآن وسنة محمد صلى الله عليه وسلم لم ينحرف وراء فلسفات ونظريات قد تهيم العقل فيعتبر أن الإيمان فطرة خلق الإنسان عليها، ورفض رفضا قاطعا أن يتم دراسة وجود الخالق فالله ليس في حاجة إلى دليل وجوده بما أنه عز وجلّاوجد جميع الموجودات فكيف يمكن يستدل عليه مما أوجده وفي هذا السياق نجده يقول الشاذلي "كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف، أم

[١] أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص ٤٢.

[٢] عامر النجار، المرجع السابق، ص ١٢٦- ١٢٧.

كيف يعرف بشيء سبق وجوده كل شيء"، وأيضا " كيف تكون الكائنات مظهرة له وهو الذي أظهرها أو معرفة له وهو الذي عرفها".[1]

إن إيمان الشاذلي العميق منعه من البحث في قضية إثبات الله لا عن طريق العقل ولا عن طريق الموجودات مثلما تطرق له غيره من المفكرين سواء كانوا متصوفة أمثال الجنيد والحلاج وغيرهم إنما هو قد اتخذ الخالق حقيقة بديهية لا تحتاج إلى إثبات ولا نقاش سائرا على طريق الحق متبعا مقتديا به[2]، فهذا المقال نجد استدلإلّا من الكتاب في حادثة نزول الوحي على رسول الله الكريم حيث أنه أول ما نزل عليه الصلاة والسلام كان أمرا بالقراءة في قوله تعالى: " ا قْ.رأْ باسْمِ ربكَ الّذي خلَق".[3]

فحتى الوحي المقدس لم يبدأ بإثبات وجود الله عز وجل،بالإضافة إلى ما جاء في فالدعوة المحمدية فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يحاول إثبات وجود الله للخلق إنما برهن صدقه بالدعوة وتحدى الجميع بصدقه، أيضا من الروايات التي وصلت عن الإمام الشاذلي في تصوف فكره قوله :كل علم تسبق إليك فيه الخواطر وتميل إليه النفس وتلتذ به الطبيعة فارم به وإن كان حقا،[4] وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المظلة عن الهدى وحقائقه وماذا عليك أن تكون عبد الله ولا علم ولا عمل،وحسبك من العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله عليه صلاة والسلام ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة.

كان هذا بالنسبة إلى أ هم مسألتين يمر بهما الزاهد أو المتصوف خلال مسيرته الدّينية فأما الشاذلي فقد بين رأيه ونظرته فيهما قطعا لا يمكن الأخذ في إثبات وجود الله وإتباعه للقرآن والحديث النبوي الشريف وقد أوصى جميع متتبعيه فالطريق بعدم الخروج عن أوامر الله ومنهياته والإنقياد بسنة رسوله الكريم فهو يجسد مثالا نادرا للمتصوف العامل على ربط الشريعة بالحقيقة داعيا من اتبعه انه لا حقيقة بلا شريعة وان أساس الحقيقة الشريعة فإذا تعارضت معرفتك مع الشريعة فعليك بترك هاته المعرفة التي سماها بالحقيقة الضالة وعلى حد قول احد الدارسين لحياة الشاذلي أن أبو الحسن ومن كان معه جميعا قد كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة من حيث الأصول والفروع وثبت أنهم اعتنقوا المذهب الأ شعري في التوحيد وعليه فإنّ الله عندهم واجب الوجود

[1] مأمون غريب، أبو الحسن الشاذلي حياته تصوفه، دط، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص٤٤.٤٣.

[2] عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي،دط، دار النصر، القاهرة، دس، ص٩٧.

[3] سورة العلق، الآية ١.

[4] عبد الحليم محمود، المرجع نفسه. ص٩٧

متصف بالقدرة والبقاء أزلي أبدي سميع بصير وأفكاره المذكورة في أحزاب الإمام الشاذلي تقر بهذا الفكر،فالفكر الدّيني الشاذلي هو استمرار لطريق الرسل عليهم صلاة والسلام والصحابة والتابعين فلا يمكننا وصفهم إلّا بأنهم جسدوا التصوف السني المحض من جميع نواحيه ومن خرج عنهم فقد كفر وذم .

أولا:الفقر والكرامة عند الشاذلي

١.الفقر

قد رأينا سابقا أن الزهد والتصوف قد اقترن بشكل وطيد بالفقر والحرمان فوجدنا الكثيرين من الزهاد قد حرموا أنفسهم وعاشوا في فقر كبير كي يظهروا ترفعهم عن الفاني في الدنيا واهتمامهم بالباقي الذي لا يفنى لكننا نجد اختلافا بالنسبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي فهو ضد حرمان النفس مما رزق الله سواءا من جانب اللباس أو المأكل وغيرهما من مظاهر الزهد في الدنيا فروي عنه انه كان يلبس من أجود وأحسن الثياب حيث ذكر في احد المجالس أن دخل عليه مرة فقير وعليه لباس من شعر فلما فرغ الشيخ من كلامه دنا من الشيخ وامسك بملبسه وقال يا سيدي ما عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك فأمسك الشيخ ملبسه فوجد فيه خشونة فقال ولا عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك،لباسي يقول أنا غني عنكم فلا تعطوني ولباسك يقول أنا فقير فأعطوني، فالشاذلية تفضل وترجح الغني الذي يشكر على الفقير الذي يصبر باستدلال أن الصبر فضيلة دنيوية بينما الشكر فضيلة في الدنيا والآخرة، فالطريق الزهدية والتصوفية ليست رهبانية قربانية تتسارى على أكل النخالة والشعير ولا هي بقبعة الصناعة إنما هي صبر على أوامر ويقين في الهداية.[١]

٢. الكرامة:

وهي نوعان حسب تصنيف إبن عجيبة كرامة حسية وقد عرفها على أنهاخرق الحس العادي،كالمشي على الماء،والطيران في إلهواء،وطي الأرض،والإطّلاع على المغيبات،وغير ذالك من خوارق العادات.

وكرامة معنوية وعرفها باستقامة العبد مع ربه في الظاهر والباطن ،وكشف الحجاب عن قلبه ،حتى عرف مولاه،والظفر بنفسه ،ومخالفة هواه،وقوة يقينية وسكونه وطمأنينته بالله.[٢]

وروي عن الشيخ أبو الحسن الشاذلي كرامات كثيرة نأخذ منها :

[١] أحمد أبو كف، المرجع السابق،ص ص ٥٠-٥١.

[٢] عبد الهادي بن عوض العمري،آراء ابن عجيبةالعقدية_عرضاونقدا_،ط١،٢٠١٩،الرياض،ص٧٣٧

ففي أحد المرات قرأ على زغوان وهو الجبل الذي سكنه متعبدا لله سورةالأنعام إلى أن وصل بتلاوته قوله عز وجل جلإله: " وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤخذْ مِنْهَا."[1] فأصابه حال عظيم وأخذ يكررها فكلما مال إلى جهة مال الجبَل نحوها حتى سكن الجبل.

ويصرح الشاذلي برأيه في قضية الكرامة بقوله ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان والإنقياد بالرسول فمن خالف هاتين تحت أي ظرف فهو مغتر، والكرامة الحقة المحضة هي الآتية تحت الصلاح والرضا في علاقة العبد بربه،ويحدد القطب الكبير الكرامة بفائدتين ألا وهما:

١.تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والإرادة والصفات الأزلية بمجتمع لا يفترق وأمر لا ينعقد كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد لا يستوي من تعرف الله إليه بنوره ومن تعرف إليه بعقله،لأجل أنها تثبت من ظهرت له فربّما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أهل النهايات في نهاياتهم إذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلى تثبيت وهكذا كان السلف رضي الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه إلى ظهور الكرامات الحسية لما أعطاهم من العلوم الغيبية والإشهادية.

٢.لمعرفة تفضيل الله لمن ظهرت عليه في قوله رحمه الله الكرامة الحقيقية إنما هي حصول إلّاستقامة ووصول كمإلها على أساس صدق الإيمان بالله تعالى والإنقياد لما جاء به رسوله الكريم عليه صلاة والسلام ظاهرا وباطنا.[2]

ثانيا:المسائل العقائدية لدى الشاذلية

إن نشأة أي مذهب أو فكر لا يقوم على عشوائيات فقط إنما يكون لنفسه أصولا وعقيدة ثابتة يدافع عنها ويثبتها دون أن يدع مجالا للنقاش فيها وهذا ما كانت عليه الشاذلية أيضا فمن المسائل العقائدية التي عرفتها الشاذلية ما يلي:

١.عقيدتهم في توحيد الله تعالى

تعتبر هذه المسألة من بين المسائل المعقدة والمتداخلة التي خاض فيها الكثيرون كل حسب مذهبه والشاذلية بدورهم تطرقوا فيها وتمت دراستها من ثلاث جوانب منفصلة فقد تطرقوا فيها إلى توحيد الربوبية*

[1] سورة الأنعام، الآية ٧٠.

[2] عامر النجار،المرجع السابق،ص١٣٨

* الربوبية: هي أفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والإحياء الإماتة ونحو ذلك.

أولا، ثم إلى توحيد الألوهية[1]** فثم الأسماء والصفات***، إلّا أنّه يبقى المفهوم واحد ولا اختلاف في المعاني إنما اختلاف في اللفظ وعليه سوف نأخذ مباشرة المسألة الأساسية ألاوهي توحيد الله تعالى عند المذهب الشاذلي.[2]

وإن تكلموا بعلم الباطن فسروه بمعنى واحد وهو وحدة الوجود، وقد بين ذالك ابن عجيبة بجلاء عندما ذكر أقسام التوحيد فقال: اعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأولى: توحيد العامة وهو الذي يعصم النفس والمال وينجو به من الخلود في النار وهو نفي الشركاء والأنداد والصاحبة والأولاد والأشياء والأضداد.

الثانية: توحيد الخاصة وهو أ ن يرى إلّافعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذالك بطريق الكشف لا بطريق إلّاستدلال.[3]

الدرجة الثالثة ألّا يرى في الوجود إلّا الله ولا يشهد معه سواه فيغيب عن النظر إلى إلّاكوان في شهود المكون.

ففي حديث التوحيد عند الشاذلية نجدهم يؤمنون أنه من اتقى الشرك في التوحيد والمحبة في أوائل خطراته عزم الله له بالمدد العزيز في أواخر ما مر به،ثم لا يحجب عن الله ولا يدخل عليه الخلل في عزائمه ومن أبطأ به إلّامر في أنفس الخطرات ووجد منه الميل إلى أشخاص الشهوات بطء عنه المدد على مقدار أوقات الفترات هل بيان من الله لأهل التيقظ من الغفلات، قال الله تعالى :" و نَفْسٍ وما سوَّاها فَألهمها فُجورها و تَقْواها"، فمن كان عبدا لله خائفا وجلا مشفقا من الله في نعائمه كان في أمن من الله فيها يرد عليه من عظيم بلائه على سبيل ما جاء في الحديث"من كان لله في الرخاء،كان الله له في الشدة".

فيعبر الشاذلي عن المحبة لغير الله على أنها ظلم في الظاهر، وشرك فالتوحيد في الباطن فحياة الإنسان عند المذهب الشاذلي عبارة عن تجارة ينبغي على الإنسان أن يتاجرها حتى يربح والحذر من الوقوع في الخسران والقبح والتاجر الحق من يعبد الله بحقائق التوحيد والإيمان والرابح من ربح نفسه فخلصها من الوقوع في الشرك والكفر لقوله تعالى" قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّين " والخاسر من أشرك بالله في توحيده في قوله تعالى " لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحبطَنَّ عملُكَ ولَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ".ويحث الإمام الشاذلي على

** إلّالوهية :هي أفراد الله تعالى في جميع أنواع العبادات الظاهرة منها والباطنة قولا وفعلا.

***الأسماء والصفات:هو إفراد الله تعلى بأسماءه الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة.

[2] خالد بن ناصر العتيبي، الطريقة الشاذلية عرض ونقد، ط١،مكتبة الرشد،المجلد الأول،الرياض، المملكة العربية السعودية٢٠١١،ص ص٧٩٥ /٧٩٦

[3] خالد بن ناصر العتيبي، المرجع السابق، ص ٧٩٦

عدم نسب ما للعبد بغير ما ليس له فمن آمن بأسماء الله وصفاته استغنى عن كل شي غيره وبقلى لصفاته عز وجل موحدا وكانت عبوديته التسليم والقبول لما يؤتى وحسن الظن بالله.[1]

٢.عقيدتهم في الرسول صلى الله عليه وسلم

تشتمل الشاذلية على نوعين من النصوص فهناك نصوص تعظم الرسالة وترى فيها إلهداية في كل شؤون الحياة وتقدم الرسل في علمهم وهديهم على كل البشر، وهناك نصوص أخرى يؤخذ منها أن الرسإلّات أنما جاءت بالشرائع والعلم الظاهر، وهذه إلّامور أنما هي لعوام الناس أما خواص الخلق فهم فوق هذه الشرائع ومرتبتهم أعلى منها فلهم مصادر أخرى يستقون منها العلوم التي إختصوا بها وهي علوم الحقائق التي لا تسعها عقول عامة الخلق.وقد زعموا أن النبي عليه الصلاة والسلام قد جاء بنوعين من الرسالة رسالة ظاهرة وهي الشريعة وأهلها من العلماء والفقهاء والعوام،ورسالة باطنية هي الحقيقة وأهلها هم الصوفية ذالك أنه عليه صلاة والسلام اجتمعت فيه من الحقائق ما افترق في غيره فكان باطنه صلى الله عليه وسلم معمورا بنور الحقائق وظاهره معمورا بنور الشرائق

٣.عقيدتهم في الولاية

وقد عرفها ابن عجيبة على أ نها حصول إلّانس بعد المكايدة واعتناق الروح بعد المجاهدة وحاصلها تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حس الكائنات فيبقى ما لم يكن ويبقى ما لم يزل فأولها التمكن من الفناء ونهايتها تحقيق البقاء وبقاء البقاء ويبقى الإرتقاء فيها والإتّساعأبدا سرمدا.[2]

تعريف الولي: حصرت الطريقة الشاذلية الولي بمفهوم خاص استحدثوه وأخرجوا بسببه العلماء والزهاد والعباد والمجاهدين في الدخول في مسمى الولي،بل أن سائر الأولياء من الصوفية لا تكمل ولايتهمألّاإذا ختم بطريقة الشاذلية فالولي عندهم مرادف للعارف الصوفي وهو من فتح على ذاته في أسرار التي عند روحه وأزيل الحجاب الذي بينهما فهو الولي العارف صاحب الفتح، واكتسبت الولاية مفهوما مغايرا لمفهوم الولاية عند أهل السنة والجماعة وتبينت معالمهم فيها في النقاط التالية:

[1] ابو الحسن الشاذلي، رسالةالأمين في الوصول لرب العالمين، ط١، تح: احمد فريد المزيدي، دار الحقيقة للبحث العلمي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٤٧.٤٨

[2] خالد العتيبي، المصدر السابق، ص٩٤١.

١. دعوى تفضيل الولاية عن النبوة :فحسب روايتهم أن الأنبياء والأولياء يلتقيان في خاصية الولايةألّاأنّ الأنبياء يزيدون عنهم بالنبوة لكنهم يعتبرونها صفة وهبية على غرار الولاية التي هي مكتسبة بفضل جهد العمل الصالح والإيمان.

٢. دعوى وجود خاتم الأولياء كما وجد خاتم الأنبياء: أول من قال بهذا الموقف في الولاية الحكيم الترميذي وكان لكتابه ختم الولاية مكانة عالية عند الشاذلية.

٣. دعوى مشاركة الولي للنبي في الوحي: يزعمون نزول الملك على الولي بالأمر والنهي وتشريع العبادات وإلّاذكار مما يجعلهم فرض المريد على السمع والطّاعة.

٤. أن الولي محفوظ معصوم ويقبل منه كل شي والعصمة فيالإسلام معروف أن الله خص بها أنبياءه ورسله لا غيرهم، بينما الحفظ من الوقوع في الخطيئة هي لأولياء الله الصالحين وقولهم بعكس ذالك هو بدعة ومحض خرافة.

٥. دعوى جواز الغلو فيهم ووصفهم بما ليس فيهم وهذا كفر وشرك بالله عز وجل.[١]

٦. حصر الولاية فيمن سلك طريقتهم الصوفية:اقتصرت الولاية عند الشاذلية للتابعين طريقهم الصوفية لا غير ذالك فباب الولاية هو لصفوة خاصة من الناس مختارة.كان هذا فيما يخص الولاية عند الشاذلية التي هي صفة الصالحين من العباد اختصهم الله بعلم وإيمان كبير، مما جعل النفس تغتر لتعلوا وتسابق كل حدود الله فدخلت في طريق الشرك والبدعة كقولهم أنه ممكن الولاية حتى لمن لا علم ولا تقوى له على سبيل أنهم يعرفون استقامة الرجل من ظلإله بطريقتهم،والتقوى والإيمان ليسا معيارا للولاية.

٤.عقيدتهم في الكرامة:

سبق وتطرقنا إلى تعريف الكرامة عند الشاذلي في المبحث السابق وسوف نذكر كيف تعاملت الشاذلية مع هاته الميزة التي أخص الله بها أولياءه الصالحين،كما عرفنا قد وقعت الشاذلية في عدة أخطاء عقدية في خصوص الولاية وهذا ما تثبته الكرامة عنهم فقد استغل الشاذليون عقيدة الكرامة من أجل أثبات بدعهم وحملوها على أنها من أ قوى الّأدلة الشرعية واعتبار كل أمر غريب عن الطبيعة هو كرامة مهداة من الله لهم.[٢]

[١] خالد العتيبي.المرجع السابق.ص ص ١٠٣١-١٠٣٤.

[٢] خالد بن ناصر العتبي .المرجع السابق. ص ص١١٣٣-١١٣٤

٥.عقيدتهم في القدر:

تذهب الشاذلية في باب القدر بوصفه بحالة الرضا بقضاء الله وقد عرف الرضا على انه تقي المهالك بوجه ضاحك وترك إلّاختيار على الله فيمار دبر وأمضى فهو عالم كل شيء وتذهب العقيدة الشاذلية إلى أن العارف الواصل لدرجة الحقيقة هو من يرضى بلا تأفف بكل مقضي من الله عز وجل، وقولهم بالرضا بالقدر مهما كان قد أنتج عدة مفاسد على المجتمع والفردألّاأنّهم يعدونها محاسن يستحقون المدح لها وهي محاسن لا يعقلها إلّا العارفون على سبيلها :

١. الرضا بحكم الوقت الذي فيه.
٢. عدم إلّانكار على احد مهما كان جرمه.
٣. عدم مقاومة ومدافعة إلّاعداء والمفسدين على إيمان أن الله هو حاميهم بقدرته.

ويأخذون هذه الفكرة عن الرضا على أنها أول شيء يجب على التابعين لهم والسالكين لطريقهم أن يعملوا بها لما لها من أهمية بالغة في حياة الواصلين العارفين.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره نجد أيضا عقيدة الشاذلية في تقسيم الدّين إلى جزأين متكاملين الحقيقة والشريعة، فالشريعة هي العلم الظاهر في العبادات والسلوكات التي أقرها الله تعالى على عباده، فأما الحقيقة هي علم الباطن ويمثل الإيمان التام بهذه العبادات والسلوكات والتصرف حسب ما جاءت به وهنا نحن نقصد التصوف، وفي رواية الشاذلية الشريعة والحقيقة هما مقيدان ببعضهما بعض فلا يمكن الفصل فيهما ولا التزام بالأولى دون الآخرى فالشريعة لبالعقل والحقيقة لب الشريعة فهي كالدهن في اللب الذي يحفظه القشر فاللب يحفظ الدهن والقشر يحفظ اللب كذالك العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة فلا يصح شرعا دون عقل ولا تقبل حقيقة دون شرع وفي هذا السياق قال الجنيد: "علمنا هذا يعني الحقائق التي يجيء بها أهل الله مقيدة بالكتاب والسنة أي أ نها لا تحصل إلّا لمن عمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وتلك هي الشريعة" وعليه يمكن القول بأن الحقيقة هي نتيجة للانغماس بعلوم الشريعة.[١]

[١] جلال الدين السيوطي، تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٦، ص١١١

ثالثا:الخصائص العلمية وأصول الطريقة الشاذلية

أ.الخصائص العلمية

١. أن التصوف عند الشاذلية ليس في ترك المأكل والمشرب: زعم أتباع الشاذلية أن من خصائصهم العلمية التنعم بالمآكل والمشارب،حسب ما روي عن الإمام الشاذلي: "أن هذا الطريق ليس بالرهبانية واكل الشعير والنخالة وإنما هو بالصبر واليقين في إلهداية" لقوله تعالى: "وجعلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهدَونَ بِأَمرِنَا لَمَّا وكَانَوا بآيَاتنَا يُوقنُونَ".[١]

٢. أنَ التصَوف عند الشاذلية ليس في لبس المرقعات من الثياب :أيضا مما نسب الشاذلية لانفسهم لبس الحسن من الثياب وعليه فإنّ التصوف عندهم ليس في المظاهر الخاريجية.

٣. التصوف عند الشاذلية ليس فيه عظيم مشقة ولا كثرة مجاهدة:في قولإمامها:ليس الشيخ من دلك على تعبك انما الشيخ من دلك على راحتك.

٤. الحث على العمل:وربطه الشاذليون بالتسبب حسب ما ذكر شيخ الطريقة:"لكل ولي حجاب وحجابي الأسباب."

٥. تحريم المسألة :فقد قاطعوا ورفضوا فكرة طلب الغير في شيء.

٦. أن الشاذلية في أمان الله وحفظه من كل بلاء وضلال:يزعمون أنهم مأمونون مضمونون من الضلال وكل بلاء وتخريب وهذه نعمة الله عليهم لا تزول.[٢]

ب.أصول الطريقة

١.تقوى الله تعالى في السر والعلانية.

٢.إتباع السنة في إلّافعال و إلّاقوال.

٣.إلّاعراض عن الخلق في إلّاقبال والأدبار.

٤.الرضى عن الله تعالى في القليل والكثير.

٥.الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء.[٣]

---

[١] سورة السجدة، الآية ٢٤.

[٢] خالد العتيبي، المرجع السابق، ص ص ٤٠٩-٤١١.

[٣] الحميري، المصدر السابق، ص٧.

المبحث الثالث: علاقة الشاذلية بالمجتمع الجزائري:

بدأ التصوف في الجزائر أو ما يعرف قديما بالمغرب الأوسط تصوفا نظريا نخبويا ثم تحول إلى تصوف شعبي عارم إبتداءا من القرن العاشر الهجري متخذا بعدا اجتماعيا وذالك بسبب الظروف السياسية التي عاشتها بلدان المغرب العربي في القرون الثلاث السابقة فكلما اضطربت السياسة أو غابت يحل الدّين محلها ينظم حياة الناس عملا بقاعدة الطبيعة تكره الفراغ وكان من أوائل أوتاد المتصوفة العمليين الشعبيين في الجزائر أبو مدين شعيب ابن الحسن الذي ارتحل إلى القدس مجاهدا وقد عرفت طريقته المدينية شهرة واسعة في الجزائر وسائر بلدان المغرب العربي وانتسبت الكثير من العائلات لها وتسمت باسمها سواء بلقب مديني أو مدني ثم ازدادت نشاطا على يد أبو الحسن الشاذلي تلميذ ابن مشيش وصارت تعرف بالطريقة الشاذلية وكان لتعاليم الشاذلي في الجزائر الأثر الأكبر بحيث يكاد البعض يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعده تصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية، التي لا يزال الناس يتسمون بها اسما شخصيا أو لقبا عائليا وليس في الجزائر بلدة ليس لها زعيمها الصوفي ومدرستها الصوفية التي تلتف حول الزاوية مركز القيادة السياسية والإجتماعية والدّينية والكثير من القرى والبلدات والّاعراش سميت باسم (سيدي...) فلا أحد يذكر اسم الصوفي الولي مجردا دون سيدي،معظم هؤلاء الأسياد من أعالي جبال جرجرة في الشمال إلى أقصى قصور الصحراء في الجنوب ينتسبون إلى بدايات عهد المرابطين حيث الساقية الحمراء ووادي الذهب وشنقيط وكلهم ينسبون إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم،حسينيين وحسنين لا فرق بين عربي أو بربري.[1]

أولا: دور صوفية المغرب الأوسط في إقامة الزوايا:

١.مفهوم الزاوية

إنّ الزاوية بناية ذات طابع ديني وثقافي يقيم فيها الشيخ الصوفي يؤدي فيها صلواته ويعتكف فيها للعبادة والأوراد،يخدمه متطوعون نذرو أنفسهم لخدمة الزاوية ويلتف حول الشيخ طلبة ومريدون ينهلون منه شتى فنون المعرفة ويتلقون عنه طريقته في التصوف.ويقيم الطلبة في الزاوية التي تتكلف بإيوائهم وتوفير متطلبات معيشتهم بحيث يخضعون ويلتزمون بنظامها التعليمي والتربوي الذي يحدده الشيخ الصوفي ثم أصبحت الزاوية تقوم إلى جانب ذالك باستقبال الزوار وإعالة وإطعام المسافرين وأبناء السبيل.

٢.نشأتها وتطورها

[1] سهيل الخالدي.مكانة الجزائريين فيا لحركة الفكرية (التصوف)ببلاد الشام .مجلة افكار وآفاق .العدد٣ دمشق.٢٠١٢.ص٩٤

بالحديث عن نشأة الزاوية لا يمننا القول بها بدون الحديث عن الرابطة* التي كانت سابقة لظهور الزاوية في النصف الثاني من القرن الخامس إلهجري واستمرت في نشاطها إلى غاية نصف الأول من القرن السابع، تركت وظائفها ونشاطها للزاوية التي أضافت خلال النصف الثاني من القرن السابع هجري إلى رصيدها جملة من الوظائف والنشاط ات وبالتالي فإنّ الزاوية في المغرب الأوسط هي الرابطة في بداية نشأتها وتطورها.بالرغم أن الرابطة هي نفسها الزاوية من حيث النشأة إلّا أنّه كان هناك اختلافا واضحا من حيث استمرارية التابعين للرابطة والزاوية فالرابطة كانت تندثر بمجرد موت مؤسسها بينما الزاوية يتواصل طريقها حتى بعد موت شيخها هذا العامل المهم هو ما جعل الرابطة تضمحل وتختفي مع بداية القرن السابع واحتلال مكانها من طرف الزاوية التي كانت نتيجة توسع المذهب الصوفي وتعدد اتجاهاته وطرقها إلّا أنّه لا يمكن تحقير دور في نشر التصوف وكل من العلوم النقلية والعقلية.[1]

بالإضافة إلى اختلاف الزوايا وتعددها اختلف أيضا نظامها من زاوية إلى أخرى وقد اشتملت كل زاوية على أسس وقواعد معينة يحددها شيخ الزاوية على سبيل ذالك نجد زاوية يعقوب ابن عمران البويوسفي الذي اقتبسإمامها نظامها التربوي والتعليمي عن الطريقة المدينية بحيث يخضع المريد فيها إلى تربية قاسية من خلال تكليفه بجملة من الأوراد وإلّافكار التي يمكن أن تجعل المريد أثناء تأديتها بإخلاص يصل إلى الكشف.

ثانيا:التربية عند الشاذلية

ويلخص هذا الوجه من التصوف شيخ التربية أو المرشد أو هو شيخ المجاهدات النفسية العارف لمقاماتها وأدواتها حتى نقطة الكشف،ويشترط فيه معرفة النفوس وأدواتها الظاهرة والباطنة ومعرفة الوجود وتقلباته وعلم الشرع والعادة فيها يجريان فيه نصا وتجربة ومشاهدة وتحقيقا وذوقا للأجسام الكثيفة واللطيفة ومعرفة التصرف في ذالك وكيفية حفظ صحتها واعتدإلها.مهمته إخضاع المريد وتقييده بما يلزمه من مجاهدات نفسية كالصيام والقيام المتواصل وتكليفه بما يقتل الكبر في نفسه كما يتابعه في خلوته فيرتب له ما يلزمه من الذكر ويعالج ما يعترضه من أ حوال فيثبت في نفسه الصحيح منها ويطرد منها الخيإلّات الشيطانية التي تعترضه حتى يصل به إلى الكشف واكتساب المواهب والعلوم اللّدنية ولما كان شيخ التربية هو طريق الأئمة المتأخرين من الصوفية فقد ارتبط حضوره ضمن الجهاز الصوفي بالمغرب الأوسط بانتشار الطريقتين الغزالية والمدينية حتى

* الرابطة: هي إحدى أهم طرق التربية عند الصوفية وان اختلف أسلوب تطبيقها بين طريقة وأخرى.

[1] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين ٦و٧هجري، د ط، دار الهدى، عن مليلة، الجزائر، ٢٠٠٤، ص ص٢٢٦.٢٢٣

العقد السادس من القرن الثّامن ثم ما لبث انه اختفى تدريجيا لانكماش هاتين الطريقتين خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن الثّامن وطيلة القرن التاسع.[1]

ثالثا: التعليم من خلال الزاوية الشاذلية

يعتبر التصوف ميدانا ضروريا وحتميا لتطوير ا لحركة الفكرية والعلمية لدى أي مجتمع كان، وعنصرا رئيسيا في تنظيم وترقية الأفراد سلوكيا وحضاريا حيث كان في القرنين السادس والسابع هجري أحد الميادين التي تجلى فيها النشاط الإيجابي للصوفية وقد اعتمد اهتمامهم بالتعليم جملة من العوامل هي كالآتي :

١. تهافت الأولياء في توجيه أبناءهم لتعلم الفقه -علم الظاهر- قصد بلوغ المناصب العليا عند الحكام كالقضاء وبالتالي اتجه التعليم في المغرب الأوسط وجهة وظيفية جردت التعليم من رسالته الأساسية.

٢. اقتصار التعليم على الفئات التي بإمكانها الإنفاق على أبنائها لان أجرة المعلم في سائر أنحاء المغرب وحتى القرن السادس كان يدفعها ولي التلميذ لان الدولة لم تتكفل آنذاك سوى بإشراف القاضي بتعليم اليتامى.[2]

وقد اشتمل التعليم على ثلاث مراتب أولها تعليم الصبيان واعتمدت هاته المرحلة على تعليم القرآن للصبيان الذين بلغوا سن السابعة في الكتاتيب دون المساجد خوفا من نجاسة الّاطفال للمساجد ثم تليها مرحلة أ خرى ألّاوهي مرحلة تعليم الطلبة الشباب حيث في هذه المرحلة يزيد التعليم عن تعليم القرآن فنونا مختلفة في كل من المساجد والزوايا والرابطات وتكون الدروس على شكل حلقات عرفت باسم الميعاد_ميعاد الدرس_ فمن العلوم التي اشتهرت آنذاك بالجامع الأعظم ببجاية الفقه والحديث وعلم التذكير، بالإضافة إلى تعليم التصوف تعليما تربويا على يد أبو مدين شعيب معتمدين الرسالة القيشيرية وأحياء علوم الدّين في تعليمهم.

وإلى جانب جهود الصوفية في تعليم الصبيان والشباب توسع التعليم ليحتوي العامة من الناس من أجل رفع مستواهم في المعرفة الدّينية وفهم أوسع في مجال الدّين الإسلامي.

---

[1] الطاهر بونابي، ا لحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ١٤-١٥ الميلاديين، أطروحة دكتوراه تخصص التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨/٢٠٠٩، ص٥٥٢.

[2] الطاهر بونابي، المرجع نفسه، ص ٢٣٠-٢٣٤.

_الشروط اللّازمة في المريدين عند الشاذلية

التوبة:وهي العودة إلى الله في كل حال من الأحوال بغية نيل عفوه ومغفرته وتعتبر هي أول مقام من مقامات مريدي الشاذلية.

١. الإخلاص:وهوالتسليم بالعمل لله عز وجل خالصا لوجهه الكريم،وهو نوعان إخلاص الصديقين وإخلاص الصادقين.
٢. النية:وهي الإنقياد لأوامر ونواهي الله تعالى دون اعتراض أو تشكيك.
٣. الذكر:وهو تعظيم اسم الله والإستشهاد بقدرته تعالى كالإستغفار وقراءة الأذكار ،كأذكار الصباح والمساء.
٤. الصبر:وهو تحمل مشاق التحلي والتخلي ويعني أن على المريد تحمل تعب القيام بالعبادات المفروضة،وتحمل مجاهدة النفس في التخلي على ما نهى الله عنه هذا ما سمي بالصبر على الواجبات والصبر على المحرمات مثال ذالك الصيام ففيه يصبر العبد على العطش والجوع وقساوة الطقس رغم ذالك يتمه لوجه الله،وصبر في ترك الخمر رغم أنه أحيانا تميل النفس لتجربته ذالك أن الله حرمه.[١]
٥. الشكر:هو امتنان المريد لله تعالى على النعم التي أنعم عليه بها،وإعمالها فيما يرضيه.[٢]
٦. الزهد: وهو الإنقطاع إلى الله بالعبادة والترفع عن ملذّات الدنيا.[٣]
٧. الخلوة: هي خطوة مهمة للمريدين حيث ينبغي على المريد الإنعزال بنفسه مع ربه للتأمل والتدبر.[٤]

بالإضافة إلى دور الجماعات الصوفية بالزوايا في التعليم والتربية كان لها دور اجتماعي توعوي كبير حيث مثلت عقل المنطقة المتواجدة بها وترأست جميع العمليات التي تقع بالمكان وتحث على بث السلم والتكافل بين الشعب وتنشيطها للعلاقات الإجتماعية من خلال الحضرة التي كانت تقام عند الضريح. وبهذه المناسبة تتكون سوق كبيرة يجتمع فيها كل من يملك صناعة وبضاعة أو يحترف مهنة ...، فيلتقي الناس ويأخذون بعضهم عن بعض مختلف العلوم والثقافات وتحدث المصاهرات والتجارة ومن بين الناسبات التي حرصت الزوايا على عدم تفويتها المولد النبوي الشر يف. وهكذا لم يقتصر الدور إلّاجتماعي على الجانب القدسي للزاوية إنما على

[١] عبد السلام محمد بن يلس،سيدي الحاج محمد بن يلس حياته وآثاره،تح:جعلوك عبد الرزاق،ط١،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر،٢٠١١،ص ص٢٥٢،٢٥٤.

[٢] ابن عطاء الله السكندري،التنوير في إسقاط التدبير،تح:محمد عبد الرحمان الشاغول،ط١،مكتب الأزهرية للتراث،القاهرة،مصر،٢٠٠٧،ص٢٨.

[٣] زكريا بن محمد الأنصاري،نتائج الأفكار النفسية في بيان معاني شرح الرسالة القيشيرية،مج١،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ج٢،١٩٧١،ص٢٥٩.

[٤] عبد الحليم محمود،المرجع السابق،ص١٠٣.

الجانب المادي الإقتصادي أيضا، زيادة على هذا عملت الجماعة الصوفية على إزالة الفوارق الإجتماعية بانصهار مختلف الطبقات فالكل إخوان لا فرق بين غني وفقير.العالم والأمي. [1]

أيضا استغلت المتصوفة آنذاك سلطتها للتدخل من أجل حل النزاعات ونبذ الخلافات والبت في القضايا الشائكة بين الناس.كما سعت الطريقة الصوفية إلى تشجيع وتنظيم التعاون بين أفراد المجتمع بشكل دوري فيما سمي عندهم بالتويزة حيث يتعاون الناس فيها بشكل طوعي على الأعمال الكبيرة مثل إلّاهتمام بالفقارة ومحاربة العقارب وتنظيف المساجد والأماكن العامة، [2] وهذه الأخيرة تعاكس الحضرة التي تتم من أجل التضرع والذكر الجماعي الذي تقوم به الطرق الصوفية بهيئة محددةوشروط وآداب مخصوصة يقرأون فيها فيها الأذكار والأوراد والأحزاب الخاصة بالطريقة،ترتكز على ثلاثة أركان لا تتم إلّا بهم جاؤوا على النحو التالي:

١. شيخ الحضرة:ويسمى بالنقيب وهو شيخ الطريقة أو نائبه،وهوواسطة العقد في حلقة الجالسين والمسؤول عن الإذن بالذكر،وبدء الحضرة وإيقافها وله مساعد يسمى (الخادم)،وعند الصوفية يدعى (نقيب السماط)فهو الذي ينظم مكان الحضرة ويوزع الطعام ...إلخ.

٢. القوال أول المنشد:وهوحسن الصوت الذي يتلو القصائد،غالبا ما يتلو قصائد الغزل والحب المهيجة للحب والشوق أو قصائد كبار المتصوفة التي تأثرت بهم الطريقة وما توارثه الصوفيون من مدائح و مواويل.

٣. الحاضرون: حيث تحدث فيها الجنيد بقوله:"السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء ،وإلّا فلا تسمع:الزمان والمكان والإخوان. [3]

[1] صباح بعارسية. حركة التصوف في الجزائر في القرن ١٦م، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، كلية العلومالإنسانية والإجتماعية، الجزائر، ٢٠٠٦، ص ص ١٤١-١٤٢.

[2] خير الدين شترة، قضايا التصوف ومظاهر الصوفية، ج١، دار الصديق للنشر والتوزيع، ٢٠١٥، ص٤٠٥

[3] شريف طه،الحضرة الصوفية حقيقتها ومفاسدها، مركزسلف للبحوث والدراسات،مصر،ص٤

## الفصل الثالث: المشروع الصوفي لدى الشاذلي

### المبحث الأول: الطريقة الشاذلية ودورها في بناء المجتمع الجزائري

أولا: زاوية الشيخ الموسوم

ثانيا: الزاوية الطيبية

ثالثا: الزاوية العيساوية

### المبحث الثاني: تأثر الطريقة الشاذلية ببقية المذاهب وصلتها بالأديان الآخرى

أولا: الحكيم الترميذي

ثانيا: ابن عربي

مطل الثالث: صلة الشاذلية بالأديان الآخرى

### المبحث الثالث:الإنتقادات الموجهة للشاذلية

أولا:ضلالات الشاذلية

ثانيا: قول أهل السنة والجماعة

ثالثا: حكم الإنتساب إلى الطريقة الشاذلية

المشروع الصوفي لدى الشاذلي

باعتبار الجماعة الصوفية من إلهيئات المشاركة في التنشئة الإجتماعية وكان لها دورا نشطا في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين السادس إلى الثّامن إلهجري حيث تكثف تواجدها ونشاطها في زمن احتاجها المجتمع لقيادة إلّاصلاح إلّاجتماعي والتأطير النفسي الجمعوي بعد توالي الحروب الأزمات السياسية والإقتصادية والعسكرية ومما سبق ذكره عن دور التصوف في كل من التعليم والتربية اللذان يعدان من أهم ركائز بناء المجتمعات نستنتج أن المشروع الصوفي للمذهب الشاذلي هو مشروع تربوي إصلاحي، يعني أنه سبقته ظروف اجتماعية غير مطمئنة،من تفشي جميع مظاهر إلّانحراف وقلة تأثير الخطباء في العامة كما يسبقهم أهل الترف للمواجهة الإجتماعية،السياسية وتسابق أهل الشظف للتشبه بهم أو التملق لهم وهنا ترق قلوب الناس وتبتعد عن شعائر الله تعالى، وقد تمثلت معظم الآفات الإجتماعيةآنذاك في تعاطي الخمر والفواحش والدعارة والقمار في فترة القرن السادس والتي جسدت زمن الشاذلي أو المدرسة الشاذلية.[1]

وبما أنه التعليم والتربية كانا من الموضوعات البالغة الأهمية عند الجماعات الصوفية فقد ترأس كلا المجالين إلّاصلاحات التي قام بها الصوفية في الجزائر بالإضافة إلى قيادة التنشئة الإجتماعية من خلال مؤسسات الوعظ والتعليم والتربية، ثم إلى تعميم النشاط الدعوي في الأسواق و الأرياف فنزلت إلى النشاط الجمعوي الدعوي والإصلاحي التكافلي وظهر النشاط الصوفي في الجزائر في أربعة مظاهر:

١. شبكة علاقات عامة بين زوايا الطريقة الواحدة في ربوع البلاد وخارجها فكان لكل طريق العديد من المؤسسات والزوايا والمساجد عبر شبكة متواصلة تساهم في ترابط الأتباع والمريدين وتفعيل أي نشاط بينهم بغض نظر عن نوعه أكان تعليمي أو دعوي أو اجتماعي أو سياسي كإعلان جهاد المحتل والتعبئة العامة.

٢. شبكة اتصال وتواصل اجتماعية في الوطن بين جملة من الزوايا والطرق لإنتشار الطلبة والدعاة من مناطق مختلفة في أرجاء البلاد بها اكتسبت الصوفية مناطق نفوذ لاتصل إليها أيادي الحكام، لذلك اكتسبت الصوفية حظوة لدى الحكام عبر تداول الممالك.

[1] عبد الكريم بليل.الدور الإجتماعي والنفسي لبواكير التصوف في المغرب الأوسط، مجلة أكاديمية فصلية محكمة تعني بالبحوث الفلسفية والإجتماعية، العدد٨ ديسمبر ٢٠١٩،ص١٠٠.٩٩.

٣. شبكة تكافل اجتماعي لرعاية الإيتام المساكين، وعابري السبيل فثقة الناس بورع المشايخ وأهل الطائفة تقودهم للتبرع للزوايا، واصل قيام الزاوية رعاية الطلبة من الفقراء والمتفرغين للعلم فكانت كفيل كل قاصد لها.[١]

٤. الحفاظ على الهويةالعربية الإسلامية بتنشئة الأجيال الصاعدة على مبادئ إسلامية، ونشر علوم اللغةالعربيةوالقرآن والسنة بين صفوف الجزائريين فمكافحة تأثيرالإحتلالالنصراني لبعض المدن وبث المصريين في أرجاء البلاد لأجل ذالك كان من أولى مخططات الإحتلال الفرنسي تحطيم نفوذ الزوايا والمعالم الدّينية واختلاق بعض الطرق لتحجيم دورها في التوعية الإجتماعية والثقافية خاصة وأن أغلب الثورات على المحتل كانت انطلاقتها من الزوايا التي مثل مشايخها أحد روابط التواصل مع العالم الإسلامي لتوفير الدعم والحشد الشعبي لجهاد المحتل ورفع معنويات المسلمين والإيمان بالعمل الجماعي.[٢]

ذكرنا هذه النظرة بالتلخيص بالنسبة للدور والمشروع الذي أهمت به الزوايا على الوجه العام لا الخاص بالزاوية الشاذلية ذالك أن جميع الزوايا كونها مؤسسة دينية تعليمية اشتركت فهذه الخصائص بالنسبة للمشروع الذي أهمت به فلا يختلف إثنان على القرآن هو أساس كل شي فمن تعلم القرآن لا خوف عليه فالقرآن يعلمه كل شيء والزاوية كانت مهمتها الأولى تعليم القرآن وتحفيظه وهذا ما ساعد على نمو الغيرة على الدّين وزرع القيم الإجتماعية والتكافليةإمام الحروب مما استعصى على المستدمر كسر الروابط بين أفراد المجتمع وزعزعته، من هنا سيأخذنا الحديث على تواجد الزاوية الشاذلية بالجزائر بوجه خاص والدور الذي قامت به في المجتمع الجزائري خلال فترة نشاطها وسنتعرف على أهم فروعها التي حلت بالمنطقة وشيوخها.

[١] عبد الكريم .بليل.المرجع تفسه.ص ١١٤.

[٢] عبد الكريم بليل، المرجع السابق، ص١١٤.

المبحث الأول: الطريقة الشاذلية ودورها في بناء المجتمع الجزائري:

قد تحدثنا سابقا عن أصل الطريقة الشاذلية وكما ذكرنا لم تكن طريقة جزائرية إلّا أنّها دخلت الجزائر وكان لها فروع وزوايا بالمنطقة إذن كيف تم ذلك من مطالعتنا لبعض المراجع وجدنا أنه معظم المرابطين الجزائريين من إ تباع الطريقة الشاذلية وقد جاء تأثير هاته الطريقة عن طريق طلب العلم في المغرب إلّاقصى وتونس أو عن طريق الحج إلّاوسط ذالك أن مثقفي الجزائر كانوا يقصدون طلب العلم خارج بلادهم التي افتقرت إلى المعاهد العليا والجامعات وأثناء إقامتهم في فاس تونس أو القاهرة والحرمين في دمشق أو بغداد أو القدس كانوا يأخذون العهد عن شيوخ الطرق وهو أمر كان شائعا عندئذ ولا حرج فيه بل واعتبر جزءا من ممارسة العلم ولا شك أ ن المغرب إلّاقصى كان مركزا عاما لنمو الطرق الصوفية خاصة بعد سقوط الأندلس وتحول الكثير من علماء الدّين وأصحاب التصوف إلى هناك ففي المغرب ظهرت مدارس صوفية عديدة سنية وغير سنية وكان بعض أصحابها يتدخلون في السياسة والحكم وبعضهم اتخذوا الخلوة واعتزلوا الناس ومن جهة أخرى جاءت من المغرب وتونس عدة طرق للجزائر، بالإضافة إلى رحلات العلم والحج نجد التواجد التونسي في الجزائر نتيجة هجرة لعض العلماء وشيوخ الطرق الصوفية التونسية، والمغربية للجزائر بسبب سوء الأوضاع السياسية التي عرفتها المنطقتين أنذاك ،أدت هذه الأوضاع إلى قمع بعض شيوخ الصوفية أو نظرا للظروف الإجتماعية والإقتصادية التي شجعت بعضهم على الهجرة للجزائر[1]، من بينها الشاذلية التي كان لها الكثير من الفروع حيث اختلفت فيها التسمية والتعاليم واحدة واختلف الشيخ والدرس واحد وعلى سبيلها نتطرق إلى زاوية الشيخ الموسوم.[2]

[1] جمعة بن زروال، هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر.مجلة علوم إلّانسان والمجتمع، جامعة باتنة١، العدد٢٣، ٢٠١٧، ص٤١٨

[2] أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٤٩٣.

أولا: زاوية الشيخ الموسوم

مع بداية القرن التاسع عشر مثل الشاذلية محمد الموسوم بن محمد بن رقية من مواليد (١٢٣٦هـ/١٨٢٠م) من بلدة جندل التابعة لمدينة خميس مليانة، أخذ الشيخ الموسوم ورد الشاذلية عن الشيخ عدة بن غلام الله في مازونة اتجه إلى جنوب المدية وفي بوغار أعالي قصر بخاري أسس زاويته للطريقة الشاذلية في سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م.[١]

ظهرت زاوية الإمام الموسوم في ظروف كانت الجزائر تشهد فيها ثورات من جميع الجهات وغطرسة السلطات الإحتلالية ومحاربة تعليم الدّين واللغ العربية من قبل السلطات الفرنسية وصدور مرسومين كارثيين على المجتمع الجزائري أو لهما مرسوم ١٨٦٣ الذي سهل انتزاع إلّاراضي من أصحابها وحل النظام القبلي، والثاني أعلن أن الجزائر جزء من فرنسا والجزائريين هم رعايا فرنسيين لا حقوق لهم في جميع مناحي الحياة إلّا بتخليهم عن أحوالهم الشخصية

من هنا ظهر دور الزاوية في المجتمع حيث تفرغ الشيخ الموسوم للوعظ والإرشاد وتعليم مبادئ الدّين والتصوف وهذا ما ساعد الجزائريين على التمسك بهويتهم وعدم السماح للمستدمر بطمسها، ولما كانت تضمه الزاوية من أتباع وتجمع الناس حول الشيخ الموسوم فقد حاولت السلطات الفرنسية السيطرة على هاته الزاوية حيث عرض الحاكم الفرنسي حينها منصبا مرموقا كي تستطيع فرنسا إحتواء الشعب عن طريقه إلا انه رفض وقرر مواصلة طريقه في التعليم والإرشاد في زاويته بعيد عن كل الأعمال السياسية أو العسكرية وعدم التدخل فيها. كان هذا شكل من أشكال جهاد الطرق الصوفية فليست كل الحروب عسكرية فالثقافة والتوعية والتفقه الدّيني لعب دورا بالغ الأهمية خلال الثورات ضدالإحتلال، وهذا ما كانت تقوم به الجماعات الصوفية من خلال التعليم الذي كان يجري في الزوايا كما تطرقنا إليه سابقا.[٢]

[١] عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة وإلّاحتلال الفرنسي في الجزائر، د ط، دار الغرب، وهران، ٢٠٠٧، ص ١٠٧.

[٢] عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص ١٠٨

ثانيا: الطريقة الطيبية

تعد الطريقة الطيبية معلما من معالم التصوف بالمغرب الأقصى والأوسط (الجزائر)كما تعد أيضا من بين المقومات الروحية، الدينية،الثقافية،الإجتماعية،والسياسية وهي فرع من فروع الطريقة الشاذلية في الجزائر التي يرجع تأسيسها إلى الشيخ إدريس الأكبر حسب الشائع وحسب السلسلة الذهبية عندهم أي التي تربطهم بالشرف حيث تمركزت زاوية الطيبية في وزان وتسمى (دار الضمان) فيها دفن الشيوخ لها زوار كثيرون وأغنياء يمولونها ماديا وشخصيات معتبرة وهي من الزوايا التي لعبت دورا سياسيا في كل من المغرب والجزائر وقد حاول الفرنسيون ترويج أسطورة عنهم مقالها أن الشيخ الطيب المؤسس التاريخي للطريقة قد تنبأ لأصحابه بأنهم سينتشرون في الجهة الشرقية* لأنها ستقع في أيدي بني الأصفر** ثم قال لهم أنكم ستأخذونها انتم قبلهم أو بعدهم، ولا يمكن تفسير هذا القول إلّا بأنه تخوف المحتلين من الجماعات الصوفية لتأثيرها القوي على عقول الشعوب.[1]

شغلت هاته الزاوية نطاقا كبيرا من الوطن الجزائري حيث انتشرت في كل من الغرب الجزائري بشيخها الحاج التهامي بن عمر،بينما في الشرق الجزائري فقد كانت مع الشيخ محمد بن بكر في مدينة قسنطينة سنة ١٣١٤م،وهي من أكبر الزوايا من حيث التابعين لها حسب ما صرح به أحدهم في احد الإحصاءات عام١٨٨٤م والذي قدر بحوالي ١٦٠٤٥.[2]

كما ذكر أيضا الشيخ الحاج عبد السلام المعروف من أكبر أشراف الوزانيين الذين زارو مدينة وهران الجزائرية حيث كان يتواصل مع السلطات الإستعمارية الفرنسية في الجزائر وقد أرسل ابنه ممد الشريف إلى القطاع الوهراني في الزيارة وذلك لجلب الهدايا وجمع التبرعات والهبات يث أنه حسب اتفاقية مدريد قامت القوات الإستعمارية بإعلان حماية الشيخ عبد السلام في الجزائر،وعليه قد تعهد الشيخ عبد السلام ألا يعين أي مقدم في الجزائر بدون أخذ الموافقة من الفرنسيين وبالمقابل تقوم السلطات الفرنسية بتمويل الزاوية والإهتمام بشؤون الشيخ العامة والخاصة،ذلك أنه كان كوسيط بين القوات الفرنسية وزعيم اولاد سيدي الشيخ كما

* الجهة الشرقية: المقصود بها الجزائر بالنسبة للمغرب.

** بني إلّاصفر: اسم الروم عند القدماء والمقصود هنا جنس الفرنسيين

[1] أبو القاسم سعد الله .المرجع السابق.ج٤.ص٩٥.٩٤

[2] بورحلة حكيم،ظاهرة الوعدة في الجزائر وعدة سيدي أحمد المجذوب بالنعامة ،رسالة الماجيستير في علم الإجتماع الثقافي،كلية العلوم الإجتماعية،جامعة وهران٢،الجزائر،٢٠١٦،ص٤٤

قام الحاكم العام بالجزائر العاصمة باستقباله فزاد نقله لأخبار الثورات الجزائرية إلى القوة الفرنسية عن طريق أتباعه مثلما فعل مع مع ثورة الشيخ بوعمامة.[1]

ثالثا: الزاوية العيساوية

ولازال هناك العديد من فروع الشاذلية نستذكر الحنصالية، الشيخية، اليوسفية، والعيساوية التي تعتبر من أبرز الطرق الصوفية التي ظهرت في فجر العصر الحديث (القرن السادس عشر ميلادي)نسبة إلى الشيخ محمد بن عيسى المكناسي المولود في سنة ٨٧٢هجري/١٤٦٧م ، ويعود نسبه إلى آل البيت تربى في عائلة محافظة على العلم والصلاح. أخذ التصوف على يد ثلاثة من أهم شيوخ الصوفية _أحمد بن عمر الحارثي (٩٠٥هجري/١٤٩٩م) ، عبد العزيز التبع(٩١٤هجري/١٥٠٨م)،ومحمد الصغير السهلي_(٩١٨هجري/١٥١٢م). مثلتها زاوية الشيخ الحاج علي في الجزائر بمنطقة وزرة نواحي سنة ١٨٩٧.[2]

تميزت هذه الزاوية بالشطح الصوفي والمدائح والغناء على غرار الزوايا التي كان لها دور في بناء المجتمع وإرساء قيمه واثبات هويته أمام الإحتلال وكل تدخل خارجي على زعمهم بهدف التنفيس عن المكبوتات وتفجيرا لما في داخل الإنسان من هموم، وممارسة السحر والشعوذة، لكنه حتى وبهذه الممارسات المغلوطة استطاعوا زرع الخوف في قلوب المحتلين خاصة بمقاومتهم له عندما حاولوا احتلال مدينة المدية هكذا كانت الطريقة العيساوية في الجزائر ويمكن القول على أنها من أكثر فروع الشاذلية التي كان لها اكبر عدد من الزوايا مع أقل عدد من التابعين.[3]

مما سبق ذكره نرى بأنّ حتى معظم المقاومات الشعبية ضد التدخلات الخارجية في الوطن كانت انطلاقتها إثر الزوايا والجماعات الصوفية ذلك للتأثير الهائل لهم على الشعب حتى أن المحتل كان يحاول دائما تفريق الجماعات الصوفية وشغلهم بأمور تبعدهم عن التجمعات الشعبية،فعملهم لم يقتصر على التعليم فقط انما كان لهم يد فالكثير من المجالات وعليه فإن الزوايا من بين المؤسسات التي لم يقتصر عملها على جانب واحد بل كان شاملا من التعليم الأساسي الذي تمثل في تحفيظ القرآن إلى بقية العلوم إلى الدفاع عن الوطن.

---

[1] بن قايد عمر،الطريقة الطيبية نشأتها ومشايخها في الجزائر في القرن ١٩،مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والضارة الإسلامية،مجلة روافد للبحوث والدراسات،جامعة غرداية،مجلد ٧،العدد١،الجزائر،٢٠٢٢،ص٢٤٩

[2] نجم الدين خلف الله،الموسوعة التونسية،المجمع التونسي للآداب والفنون،بيت الحكمة،تونس،٢٠١٣،تاريخ التعديل:١٨جانفي ٢٠١٧،١٣:٢٦.

[3] عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص١١٥

المبحث الثاني: تأثر الطريقة الشاذلية بالمذاهب الصوفية المختلفة

تأثرت الطريقة الشاذلية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي في مصر في القرن السابع هجري بمجموعة من الطرق والشخصيات التي كانت لها وزن كبير في الحياة الصوفية أهمهم:

أولا: الحكيم الترمذي

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الترميذي،ويعد من كبار مشايخ خراسان.كان قد صحب يحيى الجلاء،وأحمد بن خضرويه،وله التصانيف المشهورة .كتب الحديث ورواه.[1]

وعلى حديثنا حول تأثير الحكيم الترميذي على الإمام أبو الحسن الشاذلي فقد كان من خلال كتابه المعروف "ختم الولاية"الذي نفي بسببه من ترمذ فإنّه كان أول من طرح فكرة الولايةفي التصوف من أساسها وأخذ عنه الشاذلي هذه النظرية ومشى بها وأتباعه واختصوا بها في عقيدتهم حسب ما رأينا فيما سبق من هذا البحث أن من خصائص الشاذلية أن يكون لهم خاتم أولياء كخاتم الرسل عليهم صلوات الله وسلامه،توفي سنة ٢٨٥هجري.[2]

ثانيا: ابن عربي

هو الشيخ أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائيالأندلسي، ولد في مدينة مرسية بإلّاندلس سنة ٥٦٠ هـ./١١٦٥م، ثم انتقل رفقت أهله إلى إشبيلية وفيها ترعرع ونشأ بها وأخذ أصوال التصوف على يد مشايخها أمثال : أبي الحسن الرعيني وابن زرقون وغيرهم من أقطاب التصوف، توفي الشيخ ابن عربي سنة ٦٣٨ هـ./١٢٤٠م بدمشق عن عمر ناهز ٧٨ سنة.[3]

وقد كان للشيخ ابن عربي تأثير على الطريقة الشاذلية عامة وعلى الشيخ الشاذلي خاصة، إذ يذهب بعض المؤرخين إلى أن الشاذلي تتلمذا على يديه بطريقة مباشرة، في حين يرى البعض الآخر أن الشاذلي لم يسبق تعليمه على يد ابن عربي ودليلهم في ذلك سفر الشيخ إلى دمشق سنة ٥٩٨ هـ./١٢٠٢م وفي ذلك الوقت كان عمر الشاذلي لا يتجاوز الخمس سنوات. رغم ذلك إلّا أنّ الطريقة الشاذلية قد تأثرت بالشيخ ابن عربي.

[1] ابن تيمية،بغية المرتاد،تح:موسى بن سليمان الدويش،ط٣،مكتبة العلوم والحكم،المملكة العربية السعودية،٢٠٠١،ص٧٠

[2] أبو العلا العفيفي،التصوف الثور ة الروحية في إلّاسلام،دط،دار الشعب للطباعة والنشر،بيروت،دس،ص ٢٩٧

[3] ابن تيمية،المرجع السابق،ص،ص١٢٢،١٢١

ودليلهم أن كلا الطرفين قد تفرعوا من أستاذ واحد وهو الشيخ أبي مدين الغوث، كما كان يوجد اتصال كبير بين الشاذلي وأصحاب ابن عربي.[1]

لكنه بغض النظر عن العلاقة بين محي الدّين بن عربي و أبو الحسن الشاذلي وأخذهما العلم من نفس المعلم ، غير أن مذهب الإمام الشاذلي كان بعيدا كل البعد عن مذهب ابن العربي فلم يأخذ من مدرسته في وحدة الوجود وقضية الحلول على حد قول أبو الوفا التفتازاني :" كان تصوف الشاذلي والمرسي وابن عطاء وهم أركان المدرسة الشاذلية مبتعدا تماما عن مدرسة ابن عربي في وحدة الوجود فلم يكن واحدا منهم قائلا بهذا المذهب.

على عكس ما نراه من تأثر الشاذلي بالحكيم الترميذي خاصة في قول ختم الولاية الذي جاء به الترمذي.

ثالثا: صلة الشاذلية بالأديان الآخرى

قبل نهاية الحديث عن صلة الشاذلية بالطرق الصوفية الآخرى نذكر أن بعض الأديان حصل بينها وبين الشاذلية نوع تأثر فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية عند كلامه عن انتشار الطريقة الشاذلية: «أنهم كانوا في أيامه كثيرين يعيشون في سورية وأنهم كانوا يدعون إلى قراءة العهدين القديم والجديد، وإلى التعاون مع المسيحيين، وفي سنة (١٨٩٢ هـ.) قامت إحدى الشاذليات من كوران في أرض البقاع شمال جبل حرمون برحلة في سورية لوعظ الناس، فدعت إلى إلّاصلاح، وحياة إلّاستقامة، وكانت تقول إن الجميع من مسلمين ونصارى ويهود إخوان ...)، فهذه التربية الصوفية أوجبت على المريد أن لا ينكر أحد على أحد، لأن من اعترض طرد، فمنعوا إلّاعتراض على النصارى وإليهود، وقالوادع الخلق للخالق، فكل العباد قاموا حيث أراد الله، وهذا التسامح والتميع قوى الصلة بين صوفية النصارى وصوفية الشاذلية فقد قال أبو الوفاء التفتازاني: "وليست أهمية ابن عطاء الله قاصرة على التصوف المصري وإلّاسلامي فحسب، وإنما هي تتجاوز ذلك إلى التصوف المسيحي، فيرجح أحد كبار المستشرقين إلّاسبان... أن الصوفي إلّاسباني المعروف القديس جان دي لاكروا متأثر في آرائه الصوفية بآراء المدرسة الشاذلية".[2]

[1] خالد بن الناصر العتيبي، المرجع السابق، مج١، ص ٤٣٩.

[2] خالد بن الناصر العتيبي، المرجع السابق، مج١، ص ٤٤٦

المبحث الثالث: الإنتقادات المعاصرة لفكر الشاذلي

المذهب الشاذلي كغيره من المذاهب والتيارات الفكرية التي اختلفت عن غيرها ولاقت إعتراضا وانتقادا بالغين خاصة إذا ما كان موضوع يخص الجانب الدّيني حيث يبقى ما جاء في الكتاب والسنة هو المرجع إلّا ساس لكل فكر ديني فإنّ حال عنه شيئا ظلّ خارجا عن الإسلام وعليه سنتطرق إلى بعض ضلالات الطريقة الشاذلية قبل الحديث عمن رفض عقيدتهم لمخالفاتها ما جاء به الفرض وسنة النبي عليه الصلاة والسلام.

أولا: ضلالات شاذلية

تميزت الشاذلية بكثرة الأحزاب والأوراد وأنها من شيخ الطريقة نفسه حيث وضع الإمام أبو الحسن الشاذلي أحزابا كثيرة منها حزب البحر،البر، حزب النصر، حزب اللطف، والخفاء وغير ذلك وأتباع هذه الطريقة يعرفون هذه الأحزاب جيدا، وحزبه المعروف بحزب البحر ويسمى أيضا الحزب الصغير يعد من أشهر الأحزاب الصوفية كتبه وهو في البحر في السنة التي استولى فيها المغول على مدينة بغداد، وروي عن شيخهم أنه قال: "لو تلي حزب البحر على بغداد لما سقطت والعياذ بالله " ومما يقوله في حزب البحر ونلاحظ أن أوله إسم من أسماء الله الحسنى ثم يختم بأشياء غريبة "بالله يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم أنت ربي وعليك حسبي فنعم الرب ونعم الحسب حسبي" أيضا قوله "نسألك العصم في ا لحركات والسكنات و الكلمات والإدارات والخطارات من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوم، فقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ليقول المنافقون "والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّاغرور وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى عليه السلام وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت و بحر الدنيا وبحر الآخرة وسخرلنا كل شيء يا من بيده كل شيء كاف ها يا عين صاد، كاف ها يا عين صاد أنصرنا فإنّك خير الناصرين ولو تشاء لو طمسنا على أعينهم وعنت الوجوه للحي القيوم طس حم، عسق، مرج البحر لا يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم هم الأمر وجاء النصر علي وجاء النصر علينا لا ينصرون حم تنزيل الكتاب بسم الله بابنا تبارك حيطانا طه هعص كفايتنا" إنتهى حزب البحر الذي قال فيه الشيخ الشاذلي أنه لو تلي على بغداد لما سقطت أيضا من بين أذكارهم يالله يو هواه هو ياهو يا من هو أنت، أنت هو يوه هو يا هو هو يا جليل يا هو ا من لا إله إلّاهو، أنت أنت هو" كما

جاء في كتاب دليل الخيرات، بالإضافة كما ذكرنا سابقا في عقيدتهم أنهم جعلوا خاتمة الأولياء مثل خاتم الأنبياء كان الحكيم الترمذي من أقر بهذا القول كما قاموا بموازاة بين النبي والولي في نزول الوحي.[1]

ثانيا: قول أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم الذين يعتقدون بقلوبهم ويشهدون بألسنتهم أنه لا إله إلّا الله وأن محمد رسول الله ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويصومون رمضان ويحج المستطيع منهم بيت الله الحرام وهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره لايؤولون شيئا من ذلك لا يجعلونه رمزا على غير ما ظهر منه، وهم كذلك يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسول الله عليه الصلاة والسلام، من الأسماء الحسنى والصفة العليا إثباتا من غير تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ويقرون أن الله إله واحد لاإله غيره ولا شبيه له ولا نظير ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ولا شريكة ليس لأوليته إبتداء ولا لآخريته إنقضاء ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون على حد قوله تعالى: "وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِه إِلّابِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَات والأرض وَلَا يَـئُودُه حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ".[2] ويؤمنون أنَّ اللهَ قدر كل شيء ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضاءه عم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره ولا يكون من عباده قول ولا عمل إلّاوقد قضاه وسبق علمه به يظل من يشاء فيخذله بعدمه ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أوسعيد ولا يكون في ملكه إلّا ما يريد وهو رب العباد الذي خلقهم وخلق أعمالهم وهو المقدر لحركاتهم وآجالهم الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم.[3]

وقد ختم الرسالة والنبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعده وقد أنزل عليه كتابه الحكيم وشرح به دينه القويم وهدى به الصراط المستقيم ويقل أهل السنة والجماعة أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من يموت "كَما بدَأَكُم تَـعودونَ"[4] فإنّ الله تبارك وتعالى ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات وغفر لهم الصغائر إجتناب الكبائر وجعل من لم يتب من الكبائر إلى مشيئته على حد قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَـغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِه وَ يَـغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ"[5] فمن عاقبه منهم بناره أخرجهم

[1] ممدوح حربي، موسوعة الفرق والمذاهب وإلّاديان المعاصرة ط ١، ألفا للنشر والتوزيع، مصر ٢٠١٠، ص ١٢٦.

[2] سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

[3] عبد القادر شيبة، الأديان والفرق والمذاهب المعاصر، ط٤، مكتبة فهد الوطنية، ٢٠١١، ص ٢٤٩.

[4] سورة الأعراف، الآية ٢٩

[5] سورة النساء، الآية ١١٦.

بإيمانه فأدخله جنته ويخرج من النار كذلك من يشفع فيهم رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، من أهل المعاصي من أمته ويقر أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى قد خبلق الجنة وأعدها دار خلود لأوليائه وأكرمهم فيها بالنظر لوجهه الكريم " وُجُوهٌ يَـوْمَئذ نَاضرَةٌ * إلى ربهَا نَاظرَةٌ" [1]

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن خير القرون القَرنَ الذين رأو الرسول عَليه الصلاة والسلام وآمنوا به ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم وأفضلا الصحابة والأمة الخلفاء الراشدون المهديون أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنه جميعا، ولا يجوز أن يذكر أحد من صحابة الرسول إلّا بأحسن ذكر ويجب الإمساك عما شجر بينهم فإنّهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب.

هكذا كان أهل السنة والجماعة ومن عايشوا فترة النبي إلّا أنّهم لما جاء أتباعهم المتأخرون لم يحافظوا على ذلك النهج بل زادوا في مفارقتهم لأهل السنة في العقائد والسلوك وتجارت بهم الأهواء حتى فسدت عقائده وأحد ثوا بالدّين ما لم يكن فيه وقد لخص إبن الجوزي أحوال الصوفية، وما مروا به من أدوار فقال: " فكلما مر قرن زاد طمعه، أي إبليس" في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنهم كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من إلّاحاديث الموضوعة وهو لا يدري ثم جاء لهم أقوام هذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم، ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطل وجعلوا علم الشريعة علم الظاهر ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق وإلهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا.[2]

[1] سورة القيامة، الآية ٢٢- ٢٣.

[2] عبد القادر شيبة، المرجع السابق، ص -٢٥٠.

ثالثا: حكم الإنتساب إلى الطريقة الشاذلية

استنادا إلى الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه و سلم :"أوصيكم بتقوى الله و السمع و الطّاعة و إذا تأمر عليكم عبد حبشي فإنّ من يعش منكم بعدي فسيرى إختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين تمسكوا و ع ضوا عليها بالنواجد، و إياكم و محدثات الأمور فإنّ كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة ".

يتضح لنا في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ينبه من وقوع أمته في اختلاف كبير و تتشعب بهم الطرق، والمناهج وتكثر فيه البدع و المحدثات.ويأمر المسلمين أن يتبعوا كتاب الله وأن يتمسكوا بسنته و يعملوا عليها بالنواجذ وحذرهم من التفرق، والإختلاف واتباع البدع، والمحدثات لأنها مضلة و متاهات تفرق بمن سلكها عن سبيل الله فوصاهم بما وصى به عباده في قوله سبحانه و تعالى:" وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[1].

فنوصيكم بوصية الله و رسوله و ننصحكم بلزوم أهل السنة وَ الجماعة و نحذركم من أهل الطرق من تصوف مدخول وأوراد مبتدعة، وأذكار غير مشروعة ،وأدعبة فيها شرك بالله أو ما هو ذريعة إليه كالإستغاثة بغير الله، و ذكره بالأسماء المفردة، و ذكره بأسماء ليست من أسمائه سبحانه، و توسلهم المشايخ في الدعاء و اعتقاد أنهم جواسيس القلوب يعلمون ما تكنه،و ذكرهم الله جماعيا بصوت واحد في حلقات مع ترتحات و أناشيد، إلى غير ذلك هذا ما لا يعرف في كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، و عليه فإنّ الطرق الصوفية متعددة المشارب و المناهج فما وافق منها كتاب الله و سنة نبيه فهو مقبول، ماخالفهما كإنارة القبور المنسوبة، وتزيينها، والحجاب على القبور المسطحة بالرخام حيث بعض الأحيان يعقد ميلاد النبي عليه صلاة والسلام وتتم دعوة الإعلام فهو مرفوض فهذا ما يحرم الإنتساب إلى الطرق الصوفية .[2]لكننا كثيرا ما نصادف أناس مازالوا يؤمنون بهذه الأمور رغم أنها من الشرك بالله خاصة الأجيال السابقة يرفضون رفضا قاطعا أن يتم احتقار هذه الزوايا أو شيوخها ما يسمى بالعامية(المقدم)ونجد ان البعض يأخذون الزيارات والأكل إلى المسؤول عن الزاوية تعبيرا عن احترامهم له،وأخذ البركة منه.

[1] سورة الأنعام، الآية١٥٣

[2] احمد بن عبد الرزاق الدويش، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ط ٥ دار المؤيد ٢٠٠٣، الرياض المملكة العربية السعودية، ص ص ٢٩١ – ٢٩٣ .

حوصلة

وفي خاتم هذا البحث نعود للإشكالية العامة والتي تستدعي إجابة منا وعليه فإن التصوف في الفكر الشاذلي كانت بداياته من الشريعة الإسلامية إلا أنه فيما بعد وبتأثره بالأقطاب والطرق الصوفية الأخرى قد حال عن مسيره لكن هذا لم يمنع انتشاره فقد تداوله الكثير من بلدان المغرب العربي كالجزائر، حيث أخذت هذا المذهب عن طريق الزوايا التي انتهجت مبادئ الشاذلية وفق الأوضاع والظروف المعيشة أنذاك فالتم شعب المجتمع الجزائري حول الشيوخ الذين ذاع صيتهم حينها وبدأت أعمالهم التي شملت شتى جوانب الحياة اليومية للفرد فاتّسمت بالرضا عن النفس والحال، والتكافل، والتعاون،وتوعية أفراد المجتمع بالأخطار المتأتية للدولة سواءا من الخارج أو الداخل لكن الزاوية الشاذلية والبعض من فروعها المذكورة لم تتقدم للتدخل في الجانب العسكري الثوري ذلك أنّهم كانوا على دراية أنّ قدرتهم لا تأهلهم لمواجهة الإحتلال،فقد حاولوا اجتناب الاصطدام بالفرنسيين أمثال هؤلاء ذكرنا محمد الموسوم الذي أيقن أن اعتراض الإحتلال ولا يملك العدة المناسبة للتصدي سيجلب الخطر للزاوية وتفكيكها وقتل مريديه هذا ما استخلصه الشيخ من ما سبقه من الثورات وقد عرفت فترة الموسوم بسياسة التنصير والتجهيل بالإضافة إلى فرنسة الشعوب هذا ما جعل الإمام محمد الموسوم التأكيد على الجانب الثقافي، التعليميو التوعوي.

# الخاتمة

خاتمة:

من خلال إنجازنا لهذه الدراسة المتواضعة بعنوان التصوف في كتابات أعلام الزوايا في الجزائر"أبو الحسن الشّاذلي"،تعرفنا على المدرسة الشاذلية التي تعد من الطرق الصوفية العريقة، وأهم تلاميذها،شيوخها،الظروف التي انطلقت منها وأبعادها،فخلصنا إلى عدّة نتائج من بينها:

١.الوجود الصوفي في مختلف الثقافات والأديان الغير الإسلامية مع اختلاف تسميته فقط.

٢ .ارتباط التصوف بالفلسفة حق ارتباط سواء في الفلسفات القديمة أو ما جاء بعدها ،وكانت له مكانة خاصة في الفلسفة الإسلامية عامة ومع بداية الفرق الكلامية خاصة.

٣.دور الطريقة الشاذلية في الدفاع على الهوية العربية الإسلامية.

٤. تأثر الطريقة الشاذلية بالأقطاب الصوفية المعاصرة لها أمثال محي الدّين ابن عربي والحكيم الترميذي الذي أخذت عنه نظرية خاتم الأولياء.

٥.أسباب هجرة شيوخ الصوفية من تونس إلى الجزائر و تمركزهم بالمنطقة وانتشار مدارسهم بالمنطقة وعليه فإن بعض الطرق الصوفية المتواجدة بالوطن الجزائري ليست من أصول جزائرية.

٦. دورالشاذلية في التّصدي للإحتلال الأجنبي (الفرنسي)للجزائر من خلال فروعها المتعددة.

٧.الدور التوعوي الذي قامت به المدرسة الشاذلية في المجتمعات العربية من خلال" الحضرة "والخانات التي كانت تقيمها.

٨.تمسك الشاذليين ببعض الآراء الخاطئة كاعتقادهم بأن الولي متساوي مع النبي،و بناءهم ضريح للإمام أبو الحسن وتعبدهم له.

٩. انتقاد أهل السنّة والجماعة للطريقة الشاذلية وعدم تقبل عقيدتهم التي كان فيها الكثير من الكفر ومخالفة للشرع.

١٠.تحريم الإنتساب للطرق الصوفية على اختلافها،ومن بينهم الشاذلية.

١١.عدم ترك الشاذلي للكتب والمؤلفات إلا القليل،فقد كان يقول كتبي أصحابي.

# الملاحق

الملحق رقم 1

العين المسماة عين الشاذلي التي توضأ فيها أبي الحسن الشاذلي
قبل لقاء شيخه مولاي عبد السلام الكائنة أسفل جبل العلم

**الشكل 1:يمثل العين التي توضأ بها الشاذلي عند لقائه بشيخه عبد السلام بن مشيش.**[1]

الملحق رقم2

[1] محمد اعبيدو،المولى عبد السلام بن مشيش قطب المغرب الأقصى،ط3،دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الرباط،2013،ص42.

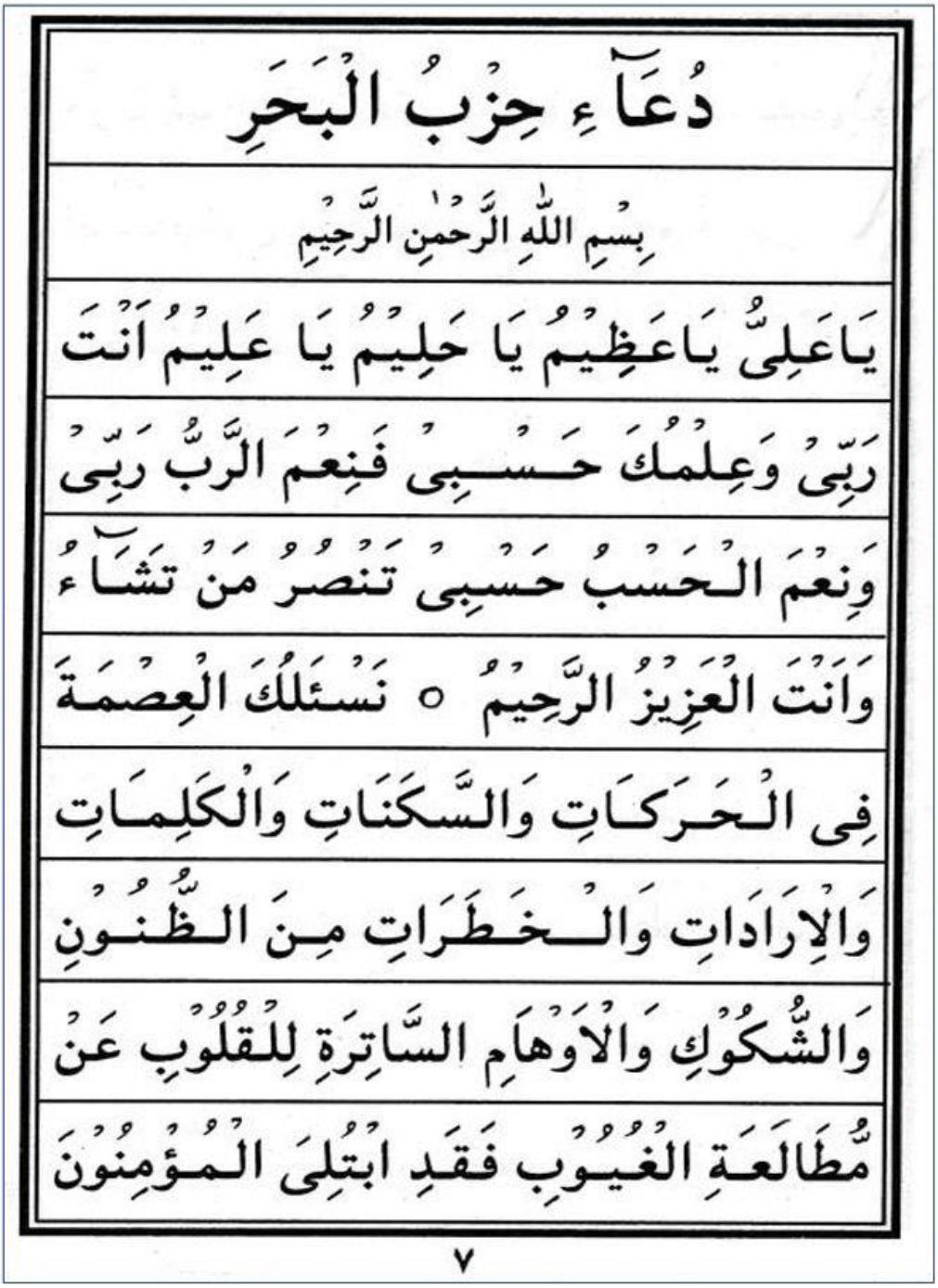
دُعَآءِ حِزْبُ الْبَحرِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

يَاعَلِيُّ يَاعَظِيْمُ يَا حَلِيْمُ يَا عَلِيْمُ اَنْتَ

رَبِّىْ وَعِلْمُكَ حَسْبِىْ فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّىْ

وَنِعْمَ الْحَسْبُ حَسْبِىْ تَنْصُرُ مَنْ تَشَآءُ

وَاَنْتَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ ○ نَسْئَلُكَ الْعِصْمَةَ

فِى الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالْكَلِمَاتِ

وَالْاِرَادَاتِ وَالْخَطَرَاتِ مِنَ الظُّنُوْنِ

وَالشُّكُوْكِ وَالْاَوْهَامِ السَّاتِرَةِ لِلْقُلُوْبِ عَنْ

مُّطَالَعَةِ الْغُيُوْبِ فَقَدِ ابْتُلِىَ الْمُؤْمِنُوْنَ

٧

شكل2:يمثل بداية دعاء حزب البحر للإمام الشاذلي.[1]

الملحق رقم3

[1] أبو الحسن الشاذلي، حزب البحر،دط،دب،دس،ص7.

شكل3:يمثل مسجد الإمام أبو الحسن الشاذلي بمرسى علم.[1]

[1] ماجد منير،صحيفة بوابة الأهرام،مصر.

# قائمة المصادر والمراجع

- المصادر :


١. القران الكريم

٢. الحديث النبوي الشريف

٣. ابو الحسن الشاذلي، رسالةالأمين في الوصول لرب العالمين، ط١، تح: احمد فريد المزيدي، دار الحقيقة للبحث العلمي، القاهرة، ٢٠٠٨

٤. ابن عطاء الله السكندري،التنوير في إسقاط التدبير،تح:محمد عبد الرحمان الشاغول،ط١،مكتب الأزهرية للتراث،القاهرة،مصر،٢٠٠٧،ص٢٨.

٥. الحميري المعروف بابن الصباغ، درة أسرار وتحفة الأبرار، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠١.


- المراجع


٦. أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج٤، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨.

٧. أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، تح: دكتور محمد بن الشريف، ج٢،دط، دار المعارف، القاهرة.

٨. أبو الوفا الغنيمي التافتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط٣، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩.

٩. أبوبكر محمد ابن إسحاق البخاري الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط٢، دار الكتب المصرية مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤.

١٠. أبي الفضل العباس أحمد بن منصور قرطان. الدرر النقية بتراجم وسند الطريقة الشاذلية، ط ٤، المركز الوطني للبحوث والدراسات التابع لآل البيت، فلسطين ٢٠١٩.

١١. أبو العلا العفيفي،التصوف الثورة الروحية فيالإسلام،دط،دار الشعب للطباعة والنشر، بيروت،دس.

١٢. أحمد أمين، زكي نجيب محمود.قصة الفلسفة اليونانية، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥.

١٣. أحمد ابن تيمية، بغية المرتاد، تح: موسى بن سليمان الدويش، ط٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠١.

١٤. أحمد أبو كف، أعلام التصوف الإسلامي، دار التعاون، ط ٢، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، ٢٠٠٢.

١٥. أحمد صبحي منصور، العقائد الدّينية في مصر المملوكية، د ط، إلهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

١٦. الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، الكلية الإكليريكية اللّاهوتية للأقباط الأرثوذكس.

١٧. عبد إلهادي بن عوض العمري،آراء ابن عجيبة العقدية _عرضا ونقدا_ط١،الرياض،٢٠١٩

١٨. مأمون غريب، أبو الحسن الشاذلي حياته تصوفه، دار غريب، دط، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٩. جلال الدّين السيوطي، تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٦.

٢٠. خالد بن ناصر العتيبي، الطريقة الشاذلية عرض ونقد،ط١،مكتبة الرشد،المجلد الأول،الرياض،المملكةالعربيةالسعودية٢٠١١،.

٢١. خير الدّين شترة، قضايا التصوف ومظاهر الصوفية، ج١، دط،دار الصديق للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

٢٢. رينولد ألن نيكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، تعريب أبو العلا العفيفي، مكتبة العرب، ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧.

٢٣. الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين ٦و٧هجري، د ط، دار إلهدى، عن مليلة، الجزائر، ٢٠٠٤.

٢٤. محمد اعبيدو،المولى عبد السلام بن مشيش قطب المغرب الأقصى،ط٣،دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الرباط،٢٠١٣

٢٥. عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف، ط ٥،. د س.

٢٦. عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي، دار النصر، دس.

٢٧. عبد الحميد الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، مطابع ايفريقيا الشرق، د ط، الإسكندرية، ١٩٨٧.

٢٨. عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة وإلّاحتلال الفرنسي في الجزائر، د ط، دار الغرب، وهران، ٢٠٠٧.

٢٩. عبد القادر شيبة، الأديان والفرق والمذاهب المعاصر، ط٤، مكتبة فهد الوطنية، ٢٠١١.

٣٠. عبده غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

٣١. عبد السلام محمد بن يلس،سيدي الحاج محمد بن يلس حياته وآثاره،تح:جعلوك عبد الرزاق،ط١،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر،٢٠١١،ص ص٢٥٢،٢٥٤.
٣٢. عبد الرحمان بن خلدون،المقدمة،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،دس،ص٤٧٤.
٣٣. زكريا بن محمد الأنصاري،نتائج الأفكار النفسية في بيان معاني شرح الرسالة القيشيرية،مج١،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ج٢،١٩٧١،ص٢٥٩
٣٤. فلاديمير لوسكي، بحث في اللّاهوت الصوفي لكنيسة الشرق، تعريب نقولا أبو مراد، منشورات النور، بيروت، ٢٠٠٠ .
٣٥. مأمون غريب – أبو الحسن الشاذلي حياته تصوفه تلاميذه وآراءه، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠.
٣٦. ممدوح حربي، موسوعة الفرق و المذاهب والأديان المعاصرة، ط١، ألفا للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٠.

- الرسائل الجامعية:

٣٧. صباح بعارسية. حركة التصوف في الجزائر في القرن ١٦م، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر، ٢٠٠٦.
٣٨. الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع إلهجريين ١٤-١٥ الميلاديين، أطروحة دكتوراه تخصص التاريخالإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨/٢٠٠٩.
٣٩. أحمد بن سعود بن سعد الغامدي، الإتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات،رسالة ماجيستير في العقيدة،كلية الدعوة وأصول الدّين،جامعة أم القرى،المملكةالعربيةالسعودية،٢٠١٤.

- المجلات:

٤٠. جمعة بن زروال، هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر،مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة باتنة١، العدد٢٣، ٢٠١٧.
٤١. بن قايد عمر،الطريقة الطيبية نشأتها ومشايخها في الجزائر في القرن ١٩،مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والضارة الإسلامية،مجلة روافد للبحوث والدراسات،جامعة غرداية،مجلد ٧،العدد١،الجزائر،٢٠٢٢.

٤٢. سهيل الخالدي،مكانة الجزائريين في ا لحركة الفكرية (التصوف)ببلاد الشام،مجلة افكار وآفاق،العدد٣ ،دمشق.٢٠١٢.

٤٣. عبد الكريم بليل، دور إلّاجتماعي والنفسي لبواكير التصوف في المغرب الأوسط، مجلة أكاديمية فصلية محكمة تعني بالبحوث الفلسفية والإجتماعية، العدد٨ ديسمبر ٢٠١٩.

٤٤. مصطفى محمد قصيبات، مدرسة الإسكندرية ونشأة الأفلاطونية الحديثة، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراتة.

٤٥. نيفين ابراهيم ياسين، حال الفناء في التصوف الإسلامي والنيرفإنّة البوذية، مجلة كلية إلّاداب، جامعة المنصورة، ع ٥٢، ٢٠١٣. محمد ابراهيم، مقال التصوف في الأديان السماوية الثلاث، معهد الدراسات

٤٦. الدّينية والفلسفية.

٤٧. .أحمد عاشوري، التصوف في الديانات السماوية ،مختبرالخلدونية الجديدة والمؤسسات العمرانية والسلطة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، مجلة منيرفا،مجلد٥،العدد٢،جامعة مستغانم،٢٠٢١.

٤٨. محمد ابراهيم، مقال التصوف في الأديان السماوية الثلاث، معهد الدراسات الدّينية والفلسفية.

٤٩. يوسف الشوبكي، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، كلية أصول الدّين بالجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢م، غزة، فلسطين.

- الصحف

٥٠. ٤٧.صحيفة بوابة الأهرام،مصر.

# فهرس المحتويات


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | أ.ب.ج |
| الفصل الأول: الخلفية التاريخية للتصوف | |
| المبحث الأول:مفهوم التصوف. | |
| أولا :تعريف التصوف لغة واصطلاحا. | 4_1 |
| ثانيا :الخصائص العامة للتصوف. | 4 |
| ثالثا:أنواع التصوف. | 5 |
| المبحث الثاني:التصوف في الفكر اليوناني. | |
| أولا:عند الطبيعيون الأوائل. | 7 |
| ثانيا:عند هيرقليطس. | 8 |
| ثالثا:عند الأفلاطونية المحدثة. | 9 |
| المبحث الثالث:التصوف في الفكر الديني. | |
| أولا:الدين المسيحي. | 11 |
| ثانيا:الديانة البوذية. | 12 |
| ثالثا:الدين الإسلامي. | 13 |
| الفصل الثاني:المنطلقات والتحول إلى التصوف لدى الشاذلي | |
| المبحث الأول:حياة وفكر أبو الحسن الشاذلي. | |
| أولا:نسبه ومولده. | 14 |
| ثانيا:نشأته وتربيته. | 15 |
| ثالثا:أهم تلاميذ الشاذلي وشيوخه ومؤلفاته. | 17. 15 |
| المبحث الثاني:التصوف في فكر الشاذلي. | 19_18 |
| أولا:الفقر والكرامة عند الشاذلي. | 21_20 |
| ثانيا:المسائل العقائدية لدى الشاذلية. | 25_21 |

| | |
|---|---|
| ثالثا:الخصائص العلمية وأصول الطريقة. | 26_25 |
| المبحث الثالث:علاقة التصوف بالمجتمع الجزائري. | |
| أولا:دور صوفية المغرب في الأوسط في إقامة الزواية. | 28_27 |
| ثانيا:التصوف والتربية. | 29_28 |
| ثالثا:دور الصوفية في التعليم. | 30_29 |
| الفصل الثالث:المشروع الصوفي لدى الشاذلي | |
| المبحث الأول :الطريقة الشاذلية ودورها في بناء المجتمع الجزائري. | |
| أولا:زاوية الشيخ الموسوم. | 34 |
| ثانيا:الزاوية الطيبية. | 35 |
| ثالثا:الزاوية العيساوية. | 36 |
| المبحث الثاني:تأثر الشاذلية بالأقطاب الصوفية وصلتها بالأديان الأخرى | |
| أولا:الحكيم الترميذي. | 37 |
| ثانيا:محي الدين بن عربي. | 37 |
| ثالثا:صلة الشاذلية بالأديان الأخرى. | 38 |
| المبحث الثالث:الإنتقادات المعاصرة للشاذلية. | |
| أولا :ضلالات الشاذلية. | 39 |
| ثانيا:قول أهل السنة والجماعة. | 41.40 |
| ثالثا:حكم الإنتساب للطريقة الشاذلية. | 42 |
| حوصلة | 43 |
| خاتمة | 44 |
| الملحق | 49.46 |
| قائمة المصادر والمراجع | 53.51 |
| فهرس | 56.55 |

الملخص

ملخص البحث :

لقد قمنا بإجراء دراسة نظرية مبسطة حول موضوع التصوف في الفكر الشاذلي، و تضمنت دراستنا بعض العناصر المهمة من الموضوع لكننا لم نتمكن من التعمق كثيرا في فكر التونسي أبو الحسن الشاذلي ذلك لتعقيد أفكاره، و غموضها واتخذنا في بحثنا بعض الأفكار المبسطة التي تمثلت في تعريف التصوف لغة و اصطلاحا، مع تحديد أنواعه كما تطرقنا أيضا إلى الدّيانات المختلفة أو الثقافات الآخرى التي احتوت التصوف كمضمون ديني روحي طاهر، ثم حصرنا موضوعنا في الإمام الشاذلي فذكرنا أهم خصائص التصوف في فكره،و مختلف مسائل العقيدة التي عرفت عنده، و من تبعه فيها من بعده وبايعه، ثم انتقلنا بالبحث إلى الجزائر التي احتضنت الطريقة الشاذلية وأعطتها مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري وتأثيرها عليه من مناحي مختلفة، و فيما تمثلت الزوايا التي جسدت الشاذلية في الوطن الجزائري.ثم نخلص إلى الإنتقادات المعاصرة التي تعرضت لها المدرسة الشاذلية وبنيت بحثي على أربعة أهداف هي كالآتي:

١. محاولة تبسيط مفهوم التصوف و اشتقاقه اللغوي في صورة تمكن كل من يقرأها يفهمها سريعا بدون أي غموض أو إبهام.
٢. ترجمة شيخ الطريقة الصوفية التونسية الشاذلية وانتقإلها،و تمركزها بالجزائر العريقة وخلق تاثير على عقليات المجتمع.
٣. التحقق إلى أي درجة استطاعت الشاذلية الحفاظ على نهج رسول الله الكريم وصحابته رضوان الله عليهم جمبعا.
٤. الكشف عن الجانب السلبي و الجانب الإيجابي في الزاوية الشاذلية و فروعها المتعددة.

**Summary**

this theoretical simplified study is conducted to tack sufism in shadhli's thought. our study includes some important elements of the subject but we were not able to go much deeper in to the thought of the Tunisian abu al-hasan al-shazli because of the complexity and the vagueness of his thoughts.

we tacked in our research some simplified ideas which are:the linguistic and the conventional definition of sufism;its types ;and the different religions or the different cultures which contains sufism as a pure spiritual religious content. further ;we have mentioned the most important characteristics of sufism and the matters of faith in shazli's thought and his followers and allegiants.

furthermore we have tacked the influence of shazli's thought in the Algerian society from different angles and the small mosques(zawaya)which embodied shazli's thought but did not follow its principles.

This research is based on four clear buts:

1. An attempt to simply the concept of mysticism and its linguistic derivation in a form that everyone who reads it can understand quickly without any ambiguity.
2. Introducing the el' sheikh shazli and its transmission and position in Algeria and creating an impact on the mentality of society.
3. Checking to what extent "the shadhiliya" were able to preserve the approach of the messenger of god "peace be upon him" and his companions; may god be pleased with them all.
4. Exploring both the positive and the negative aspects of the "shadiliya" and its different branches.

جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم النفس و الأرطفونيا و الفلسفة

# تصريح شـرفي

## خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(ملحق القرار الوزاري رقم 1082 المؤرخ في 2020/12/27 المتعلق بالوقاية ومحاربة السرقة العلمية)

أنا الممضي أدناه،

الطالب (ة) .....

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: ..... والصادرة بتاريخ: .....

المسجّل(ة) بكلية: ..... قسم: .....

و المكلف بإنجاز أعمال بحث مذكرة التخرج ماستر عنوانها :

.....

.....

شعبة: ..... تخصص: .....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ .....

إمضاء المعني